ردٌ مختصرٌ على القائلين
بدوران الأرض حول الشمس

كتبه/ياسر بن محمد فتحي آل عيد.

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب الشيخ ابن باز – رحمه الله – كتابه الشهير " الأدلة النقلية والحسية .. على جريان الشمس والقمر وسكون الأرض " عندما شاعت في أوساط بعض المدرسين فكرة أن الشمس ثابتة ، والأرض مُتحركة ، فبين لهم الشيخ أن القول بثبات الشمس مُصادم لأدلة الكتاب والسنة ، وأنه كفرٌ وضلال ، وأنه يختار أن الأرض ثابتة . فكثرت الأكاذيب والافتراءات عليه – رحمه الله – من الجهلة والمغرضين والمتعصبين ، و زعموا أنه يُكفّر من يقول بجريان الأرض ! وصدّقهم – للأسف – بعض من يستمعون القول ولا يتثبتون . فكتب الشيخ توضيحًا يقول فيه : (أثبتُ فيما نقلته عن العلامة ابن القيم رحمه الله ما يدل على إثبات كروية الأرض، أما دورانها فقد أنكرته وبينت الأدلة على بطلانه ، ولكني لم أكفّر من قال به، وإنما كفرتُ من قال إن الشمس ثابتة غير جارية؛ لأن هذا القول مصادم لصريح القرآن الكريم والسنة المطهرة الصحيحة الدالَين على أن الشمس والقمر يجريان) .

http://www.binbaz.org.sa/article/472

وقد نسب العلاّمة محمد بن ناصر العبودي – وفقه الله – في كتابه " سبعون عامًا في الوظيفة الحكومية "(٢ / ٣٧٣) للشيخ ابن باز أنه تراجع عن القول بثبات الأرض ، نقل هذا عن د محمد بن سعد الشويعر – وفقه الله – ، قال : (وكرر لي الدكتور محمد الشويعر أن الشيخ ابن باز رجع عما في كتابه في أن الأرض ثابتة ، وذكر ذلك في فتاويه ، وأنه آخر ما يراه في الموضوع) . ولم نجد أثرًا لهذا التراجع في فتاوى الشيخ ابن باز – رحمه الله – ، وهو يخالف فتاواه التي كان يُصدرها إلى آخر حياته ضمن لجنة الإفتاء ، ومنها على سبيل المثال : الفتوى رقم (١٨٦٤٧) من فتاوى اللجنة (ج ٢٦) ، وفيها قولهم : (فإن الأرض ثابتة قارة ، والشمس هي التي تدور .. الخ) .

لما قرأ الشيخ ياسر فتحي – وفقه الله – ، صاحب كتاب " لماذا حركوا الأرض ؟ " – لم يُطبع بعدُ – كلام الشيخ العبودي السابق : كتب هذا المقال:

ردٌ مختصرٌ على القائلين بدوران الأرض حول الشمس

كتبه/ياسر بن محمد فتحي آل عيد.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن القول بثبات الأرض وعدم دورانها حول الشمس هو عين العقل والحكمة، بل هو عين ما جاءت به الأنبياء والرسل، وهو الموافق لظاهر القرآن والسنة، بل هو محل إجماع المسلمين وأهل الكتاب:

قال عبد القاهر البغدادي الإسفراييني في كتابه الفرق بين الفرق ص (٢٩٠) في بيان ما اتفق عليه أهل السنة: "وأجمعوا على وقوف الأرض وسكونها، وأن حركتها إنما تكون بعارض يعرض لها من زلزلة ونحوها، خلاف قول من زعم من الدهرية: أن الأرض تهوي أبداً ...".

وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً**﴾ [الرعد (٣)]: "والذي عليه المسلمون وأهل الكتاب: القول بوقوف الأرض وسكونها ومدها، وأن حركتها إنما تكون في العادة بزلزلة تصيبها" [الجامع لأحكام القرآن (٩/٢٣٩)].

وقد قال جمع من أهل العلم بمركزية الأرض للكون:

قال شيخ الإسلام [المجموع (٦/٥٦٥)]: "إن الأفلاك مستديرة كرية الشكل، وإن الجهة العليا هي جهة المحيط، وهي المحدب، وإن الجهة السفلى هي المركز، وليس للأفلاك إلا جهتان: العلو والسفل فقط، وأما الجهات الست فهي للحيوان، ... إلى أن قال: لكن جهة العلو والسفل للأفلاك لا تتغير، فالمحيط هو العلو، والمركز هو السفل" [وانظر: الرسالة العرشية (٦/٥٤٥-٦٠١) ضمن المجموع].

وقال أبو محمد عبد الله بن يوسف الجويني والد إمام الحرمين [ت (٤٣٨) هـ] في رسالة في إثبات الاستواء والفوقية [مطبوع ضمن الرسائل المنيرية] (١/١٨٦): "فصل: في تقريب مسألة الفوقية من الأفهام بمعنى من علم الهيئة لمن عرفه:

لا ريب أن أهل هذا العلم حكموا بما اقتضته الهندسة، وحكمها صحيح؛ لأنه ببرهان لا يكابر الحس فيه؛ بأن الأرض في جوف العالم العلوي، وأن كرة الأرض في وسط السماء كبطيخة في جوف بطيخة، والسماء محيطة بها من جميع جوانبها، وأن سفل العالم هو جوف كرة الأرض، وهو المركز، ونحن نقول: جوف الأرض السابعة، وهم لا يذكرون: السابعة، لأن الله تعالى أخبرنا عن ذلك، وهم لا يعرفون ذلك، وهذه القاعدة عندهم هي ضرورية لا يكابر الحس فيها: أن المركز هو جوف كرة الأرض، وهو منتهى السفل والتحت، وما دونه لا يسمى تحتاً، بل لا يكون تحتاً،

ويكون فوقاً، بحيث لو فرضنا خرق المركز وهو سفل العالم إلى تلك الجهة لكان الخرق إلى جهة فوق، ولو نفذ الخرق جهة السماء من تلك الجهة الأخرى لصعد إلى جهة فوق، ..." إلخ كلامه.

ثم إن القائل بهذه النظرية مكذب لله ورسله، والدلائل على هذا كثيرة جداً، راجعها في كتابي: (لماذا حركوا الأرض ؟) .

ومنها مثلاً: أن الله تعالى خلْق الأرض أولاً [يعني: قبل الشمس]، ثم خلقها في يومين [لا في ملايين السنين]، وأن الله ﷻ ألقى الجبال عليها [لا أنه أخرجها من باطنها]، وتقدير الأقوات في الأرض التي عليها معاش العباد [لا كما يتوهمون من احتمال وجود حياة على كوكب آخر، ولا كما يزعمون أن هذا تكون خلال بلايين السنين]، وأن الله ﷻ خلق السماء من بخار الماء الذي تصاعد على وجه الأرض [لا أنه خلق السماوات والكون كله من السديم]، وأنه بعد ما فرغ من بناء الأرض وبناء السماء [الذي ينكرونه] أخرج من كل منهما منافعهما، فأخرج من الأرض ثمارها وأشجارها ونباتها وأنهارها، وأخرج من السماء الشمس والقمر والنجوم [لا كما يدعي خلاف ذلك الدهرية]، وأن السماوات السبع خلقت في يومين [خلافاً لما يقوله الوثنيون بأن الأجرام السماوية نشأت في بلايين السنين]، وأن خلق هذا الكون المحيط بنا إنما تم في ستة أيام فقط [لا في بلايين السنين].

قال الله ﷻ: ﴿**قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ** [أي: يومي الأحد والاثنين] **وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ{٩} وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا** [جعل في الأرض جبالاً ثوابت من فوق الأرض لكي تثبتها وتمنعها من الميل والاضطراب والدوران ،كما قال تعالى: ﴿**وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ**﴾ {النحل (١٥)}] **وَبَارَكَ فِيهَا** [أي: في الأرض بما خلق فيها من البحار والأنهار والأشجار والثمار وغير ذلك] **وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا** [أي: قسم في الأرض أرزاق العباد والبهائم، فجعل في كل بلدة ما لم يجعله في الأخرى، ليعيش بعضهم على الحبوب، وبعضهم على السمك، وبعضهم على التجارة] **فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ** [أي: في يومي الثلاثاء والأربعاء، فهما مع الأحد والاثنين أربعة أيام؛ ردَّ الآخر على الأول] **سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ** [أي: جواباً لمن سأل: في كم خلقت الأرض والأقوات؟ وقيل: للمحتاجين للمعاش والرزق]**{١٠} ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء** [أي: عمد وقصد إلى خلق السماء] **وَهِيَ دُخَانٌ** [هو: بخار الماء] **فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً** [أي: افعلا ما آمركما، أو أعطيا وأخرجا ما خلقت فيكما من المنافع لمصالح العباد، افعلا ذلك طوعاً؛ وإلا أكرهتكما عليه] **قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** [فأخرجت السماء شمسها وقمرها ونجومها، وأخرجت الأرض شجرها وثمرها ونباتها وأنهارها]**{١١} فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ** [أي: أتمهن وأحكمهن وفرغ من خلقهن في يومي الخميس والجمعة] **وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً** [زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها؛ فمن تأول فيها بغير ذلك: أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف مالا علم له به. قاله قتادة، وعلقه البخاري في صحيحه، بصيغة الجزم، في (٥٩) كتاب بدء الخلق،

(٣) باب: في النجوم] **ذَلِكَ** [المذكور، من الأرض وما فيها، والسماء وما فيها] **تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** [الذي بعزته قهر الأشياء ودبرها، وبعلمه خلق المخلوقات وأوجدها]**{١٢}**﴾ فسبحان من يخبر عن خلقه وفعله فيه! أنعرض عن خبره فيما أخبر به عن نفسه سبحانه كيف خلق هذا الكون! وكيف أوجده من عدم! ﴿**أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الملك (١٤)]، ثم نذهب إلى الجهول الظلوم الذي كان غائباً عدماً فنصدقه في ترَّهاته وتخيلاته التي يكسوها زوراً وبهتاناً بثوب البحث العلمي النزيه، قال الله ﷻ: ﴿**مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً** ﴾ [الكهف (٥١)].

فإن أشكل عليك بعد ذلك قوله ﷻ: ﴿**أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا{٢٧} رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا{٢٨} وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا{٢٩} وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا{٣٠}**﴾ [النازعات]، ففهمت منه أن الله ﷻ خلق الأرض بعد خلق السماء وشمسها وقمرها؛ فنقول: ليس الأمر كما فهمت، فإن الله ﷻ لم يقل: والأرض بعد ذلك خلقها، وإنما قال: ﴿**دَحَاهَا**﴾، ثم فسر الدحي بعد ذلك بقوله ﷻ: ﴿**أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا{٣١}**﴾، فظهر بذلك مراد الله ﷻ، فلا تعارض بين الآيات، ﴿**فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنعام (٤٥)].

قال ابن كثير في البداية والنهاية (١/١٥) بعد سرد الآيات من سورة فصلت: "فهذا يدل على أن الأرض خلقت قبل السماء لأنها كالأساس للبناء"، ثم قال بعد سرد الآيات من سورة النازعات (١/١٦): "فقد تمسك بعض الناس بهذه الآية على تقدم خلق السماء على خلق الأرض، فخالفوا صريح الآيتين المتقدمتين، ولم يفهموا هذه الآية الكريمة؛ فإن مقتضى هذه الآية: أن دحي الأرض وإخراج الماء والمرعى منها بالفعل بعد خلق السماء، وقد كان ذلك مقدراً فيها بالقوة، كما قال تعالى: ﴿**وبارك فيها وقدر فيها أقواتها**﴾ أي: هيأ أماكن الزرع، ومواضع العيون والأنهار، ثم لما أكمل خلق صورة العالم السفلي والعلوي، دحى الأرض فأخرج منها ما كان مودعاً فيها، فخرجت العيون، وجرت الأنهار، ونبت الزرع والثمار، ولهذا فسر الدحي بإخراج الماء والمرعى منها، وإرساء الجبال، فقال: ﴿**والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها**﴾.اهـ كلامه.

وقد اختلف أهل العلم في مقدار هذه الستة الأيام على قولين: فالجمهور على أنها كأيامنا هذه، ومنهم من قال: إن كل يوم منها كألف سنة مما تعدون [انظر: البداية والنهاية (١/١٥)].

وقد جاء عن بعض الأنبياء ما يدل دلالة قاطعة على أن الليل والنهار ناشئان عن حركة الشمس حول الأرض، لا العكس:

فقد روى الشيخان [البخاري (٣١٢٤و٥١٥٧). ومسلم (١٧٤٧)] من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**غزا نبي من الأنبياء، فقال للقوم: لا يتبعني رجل قد كان ملك بُضع امرأة، وهو يريد أن يبني بها، ولَمَّا يبنِ**

بها. ولا آخر قد بنى بناء له، ولما يرفع سقفها. ولا آخر قد اشترى غنماً أو خَلِفاتٍ، وهو ينتظر وِلادها. فغزا فدنا من القرية حين صلاة العصر، أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: أنت مأمورة، وأنا مأمور، اللهم احبسها عليَّ شيئاً، فحُبِستْ عليه حتى فتح الله عليه، ...» وذكر الحديث بطوله.

ووجه الدلالة منه من وجوه:

أحدها: قوله للشمس: «**أنت مأمورة**» فيه دليل على تسخير الشمس، وأنها مأمورة بالإشراق من المشرق، والغروب من المغرب، والسير في فلكها المقدر لها.

الثاني: قوله: «**وأنا مأمور**» فيه تنبيه على تشبيه الأمر الكوني للشمس بالأمر الشرعي للنبي، حيث إن كليهما مكلف بذلك من قبل خالقه، وعليه فأمر التسخير بالحركة الدائبة موجه إلى الشمس لا إلى الأرض.

الثالث: قوله: «**اللهم احبسها عليَّ**» فهذا الدعاء مبني على علم النبي السابق بحركة الشمس حول الأرض وتسخيرها للخلق، والذي يترتب عليه الليل والنهار، ومعلوم أن علوم الأنبياء ومعارفهم تكون صحيحة، ولو كان هذا الطلب غير موافق لحقيقة الأمر، لنُبِّه النبي، ولم يترك على هذا الاعتقاد الخاطئ.

الرابع: أنه بذلك يطلب أمراً ممكناً، ودليل إمكانه: عدم نهي النبي عنه، أو صرفه إلى غيره، فهذا نبي الله موسى ﷺ لما سأل الله تعالى أن يراه ببصره في الدنيا، قال الله ﷻ له: ﴿**لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي**﴾ [الأعراف (١٤٣)]، فنفى إمكان الرؤية في الدنيا حيث لا تحتملها قدرات البشر، وعلق إمكان الرؤية على استقرار الجبل، فإن كان الجبل الذي هو أشد قوة من البشر لم يحتمل هذا التجلي فكيف بالبشر، بينما لما سأل خليل الرحمن إبراهيم ﷺ رؤية كيفية إحياء الموتى، أجابه الله ﷻ إلى ذلك وقال: ﴿**فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [البقرة (٢٦٠)]، فإذا ثبت كون حبس الشمس أمراً ممكناً، فقد استجاب الله تعالى له، وحبس له الشمس، فدل ذلك على حركتها ودورانها حول الأرض، لينجم عنه الليل والنهار، وإلا لم يكن لذلك معنى.

الخامس: قوله: «**فحبست**» دل على عظيم قدرة الله تعالى وكمالها، فكما أنه سخر الشمس والقمر بالسير الدائب لمصالح الخلق، وجعل ذلك سنة كونية لا تتبدل ولا تتغير، فإنه ﷻ قادر على أن يعطل هذه السنة وقتما شاء ﷻ، حتى يتمكن يوشع بن نون ﷺ من هزيمة أعداء الله، فهل من معتبر!.

ومن الدلائل على ذلك أيضاً: أن الله ﷻ لما ذكر الأجرام السماوية المتحركة المسخرة لم يُدخل فيها الأرض مما يدل على سكونها؛ قال الله ﷻ: ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ [الأنبياء (٣٣)]، وكان قال قبل ذلك: ﴿**وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ {٣١} وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفاً مَّحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ{٣٢}**﴾

فبدأ ﷻ بالثوابت: الأرض والسماء، ثم عقب بالمتحرك بينهما، وقد أكد ثبات الأرض بأن جعل لها الجبال رواسي كالأوتاد تثبتها حتى لا تميد، أي: تميل أو تضطرب أو تتحرك بدوران وغيره.

• كذلك فإنه لا صحة لما يزعمون من المسافات الفضائية الهائلة التي لجؤوا إليها بحثاً عن برهان علمي يصدق جهلهم، وهو برهان اختلاف المنظر الشمسي، فإنه يكذبه ما قد صح عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام، وبين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام، والعرش على الماء، والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه.

ومثل هذا الإخبار عن أمر غيبي مما لا مجال للرأي فيه؛ فله حكم الرفع، والله أعلم.

• ولا بد من طرح سؤال مهم لمن يؤمن بعقيدة السلف في إجراء نصوص الكتاب والسنة على ظواهرها، وعلى الإيمان بما ظهر لنا من معتقد الصحابة:

فيقال لمن يقول بهذه النظرية: هل نزل القرآن مخاطباً الناس بما عهدوه من سكون الأرض واستقرارها؟ أم بتقرير حركتها ودورانها؟

فإن كان الأول؛ فقد سلمتم.

وإن كان الثاني؛ فقد رميتم كتاب الله تعالى بالإيهام والاضطراب؛ حيث لم ينقل إلينا أن الصحابة فمن بعدهم فهموا من آيات الكتاب حركة الأرض ودورانها.

ويقال لهم أيضاً: هل أنتم أهدى سبيلاً من أصحاب رسول الله ﷺ؟

الجواب: لا، فهل نقل عن أحد منهم، فمن بعدهم ممن اتبعهم بإحسان، أنه قال بدوران الأرض حول نفسها، أو حول الشمس، ولو نقل عنهم لما أغفله أئمة المفسرين.

فإن قيل: سكتوا عما لم يعلموا. قيل: أما يسعكم ما وسعهم من السكوت؟ أم أبيتم إلا رميهم بالجهل فيما أولوه، أو أوله التابعون لهم بإحسان من الآيات الدالة على استقرار الأرض وثباتها.

• ويقال لهم أيضاً: فما تقول إذا ثبت عن أحد علماء الصحابة خلاف ما تقوله هذه النظرية:

قال الله ﷻ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً**﴾ [فاطر (٤١)]:

قال ابن مسعود: "كفى بها زوالاً أن تدور". [جامع البيان لابن جرير (١٤٥/٢٢). المحرر الوجيز (٤٤٢/٤)].

فهذا الصحابي الجليل ابن مسعود ينفي الدوران تبعاً لنفي الزوال.

• وأسوق لك شيئاً يسيراً من كلام أئمة التفسير في القول بثبات الأرض وعدم حركتها، راجياً ربي ألا تسفه أحلامهم، وتُحمّل كلامهم ما لا يحتمل:

قال الله ﷻ: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ**﴾ [الروم (٢٥)]:

قال ابن مسعود: "قامتا على غير عمد بأمره" [تفسير البغوي (٣/٤٨١)].

وقال ابن عطية: "معناه: تثبت" [المحرر الوجيز (٤/٣٣٤)]. وقال ابن كثير: "أي: هي قائمة ثابتة بأمره لها، وتسخيره إياها" [تفسيره (٣/٤٣١)].

وقال الله ﷻ: ﴿**أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ**﴾ [النمل (٦١)]:

قال ابن كثير في تفسيره (٣/٣٧١): "أي قارةً ساكنةً ثابتةً، لا تميد، ولا تتحرك بأهلها، ولا ترجف بهم، فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة، بل جعلها من فضله ورحمته مهاداً بساطاً ثابتةً، لا تتزلزل ولا تتحرك".

وقال القرطبي في تفسيره (١٣/٢٢٢): "﴿**وجعل لها رواسي**﴾ يعني: جبالاً ثوابت تمسكها وتمنعها من الحركة".

والقرار معناه في لغة العرب: الثبات والسكون [انظر: لسان العرب (٥/٨٤). القاموس (٥٩٢). تاج العروس (١٣/٣٩٢)].

وقال الله ﷻ: ﴿**وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ**﴾ [النحل (١٥)]، وما كان في معناها من الآيات الكثيرة:

قال القرطبي في تفسيره (١١/٢٨٥): "﴿**وجعلنا في الأرض رواسي**﴾ أي: جبالاً ثوابت، ﴿**أن تميد بهم**﴾ أي: لئلا تميد بهم، ولا تتحرك ليتم القرار عليها، ...، والميد: التحرك والدوران، يقال: ماد رأسه، أي: دار".

وقال ابن القيم في مفتاح دار السعادة (١/٢١٧): "فصل: ثم تأمل خلق الأرض على ما هي عليه، حين خلقها واقفةً ساكنةً؛ لتكون مهاداً ومستقراً للحيوان والنبات والأمتعة، ويتمكن الحيوان والناس من السعي عليها في مآربهم، والجلوس لراحاتهم، والنوم لهدوّهم، والتمكن من أعمالهم، ..." ثم استشهد على كلامه بهذه الآية.

• وممن تأثر بهذه النظرية، وقال بمقتضاها؛ فتأول نصوص القرآن لتتفق على ما دلت عليه : سيد قطب ، حيث قال عند قوله تعالى: ﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا**﴾ [يس (٣٨)]: "تجري فعلاً، تجري في اتجاه واحد، في الفضاء الكوني الهائل، بسرعة حسبها الفلكيون باثني عشر ميلاً في الثانية".

وهذا مخالف لما هو معلوم من كون الشمس تدور حول الأرض، وتشرق وتغرب؛ ففي حديث أبي ذر أن النبي ﷺ قال يوماً: «**أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**إن هذه تجري، حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدةً، فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعةً من مطلعها، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدةً، ولا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعةً من مطلعها، ثم تجري، لا يستنكر الناس منها شيئاً حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لها: ارتفعي، أصبحي طالعةً من مغربك، فتصبح طالعةً من مغربها**» فقال رسول الله ﷺ: «**أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين ﴿لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ**

كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾». [الأنعام (١٥٨)] متفق على صحته [البخاري (٣١٩٩و٤٨٠٢و٤٨٠٣و٧٤٢٤و٧٤٣٣). مسلم (١٥٩)].

ففي هذا الحديث الصحيح: إثبات جريان الشمس، ودورانها حول الأرض، وأنها في كل يوم تذهب فتستقر تحت العرش، ثم تخر ساجدة، فتستأذن فيؤذن لها، فتشرق مرة أخرى من المشرق، وهكذا كل يوم حتى لا يؤذن لها، فتصبح طالعةً من المغرب، ففي الحديث إثبات هذه الأفعال للشمس، وأن الله ﷻ خلق لها نوع إدراك، وأنها مسخرة مأمورة، قال الخطابي في أعلام الحديث (١٨٩٣/٣): "لا يُنكَر أن يكون لها استقرار تحت العرش، من حيث لا ندركه ولا نشاهده، وإنما هو خبر عن غيب فلا نكذب ولا نكيفه؛ لأن علمنا لا يحيط به"، وقال ابن العربي في عارضة الأحوذي (٢٥/٩): "وقد أنكر قوم من أهل الغفلة – اقتداءً بأهل الإلحاد– سجودها، وهو صحيح جائز ممكن، وتأوله قوم أنه ما هي عليه من التسخير الدائم"، وقال ابن حجر في الفتح (٤٠٣/٨): "وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار: وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها، ومقابل الاستقرار: المسير الدائم المعبر عنه بالجري، والله أعلم".

وهذا الحديث من أوضح الأدلة على ثبات الأرض، ودوران الشمس حولها.

وأنى لمن يؤمن بهذه النظرية وبكل ما أتت به أن يؤمن بأن السماوات السبع قد بناها الله ﷻ وسواها في يومين، وأعمرها بالملائكة، وجعل لها أبواباً، لا يُدخل إليها إلا بإذن، ولها حفظة يحفظونها، ولكل منها سكانها الذين يعمرونها من الملائكة والأنبياء كما جاء تفصيله في حديث الإسراء، وجعل الله ﷻ السماء الدنيا سقفاً للمخلوقات، وكانت الجن تقعد منها مقاعد لاستراق السمع فمن خطف شيئاً أتبعه شهاب ثاقب يحرقه، وبين السماء الدنيا المبنية وبين سطح الأرض مسيرة ٥٠٠ عام.

• وهذه النظرية قد أتت ممن حذرنا الله منهم بقوله ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [آل عمران (١١٨)]، وحذرنا من أتباعهم وذيولهم من المنتسبين إلى المسلمين بقوله: ﴿**لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾ [التوبة (٤٧)].

فنقول لهؤلاء وأمثالهم: إن الكفار في هذه المسألة ليسوا على قلب رجل واحد، بل لايزالون فيها مختلفين.

فمن ذلك مثلاً: الهبوط على القمر، وإن كنا نحن لا نصدقه ولا نكذبه؛ لأنه لم يأت في شريعتنا ما يمنع من وقوعه، حيث إن القمر واقع فيما بين الأرض والسماء المبنية المحروسة، والجن يتنقلون فيما بينهما، فكذلك لو ادعى أحد من الإنس ذلك بسببٍ ما، لم نكذبه، ولم نصدقه أيضاً حتى يأتي بالبرهان الصادق على ذلك.

وبعض المسلمين في هذا الزمان قد صدق هؤلاء في دعواهم الهبوط على سطح القمر حتى أصبحت هذه المسألة عنده من البدهيات التي لا يختلف فيها اثنان، ومع ذلك فقد أظهر أحد الاستطلاعات للرأي والذي قامت به مؤسسة غالوب عام (١٩٩٩ م) أن ٦ % من الأمريكان غير واثقين من حدوث الهبوط على سطح القمر، وقد عرضت قناة فوكس التلفزيونية في نفس العام (١٩٩٩ م) برنامجاً يستعرض البراهين والأدلة على زيف عملية الهبوط على القمر، تابعه (٦) مليون مشاهد – على زعمهم–، ولذلك فقد قام الأمريكان في جامعاتهم بتنظيم محاضرات خاصة لتفنيد هذه المزاعم، وقد ذُكر من هذه الأدلة على زيف عملية الهبوط: أن العلم الأمريكي الذي غرس على سطح القمر شوهد وهو يرفرف، مع أنهم يجزمون بأن القمر لا هواء فيه، وأنه ليس له غلاف جوي، فكيف رفرف العلم؟!!!.

• كذلك فقد ثبت أن الأشعة الكونية خارج الغلاف الجوي الأرضي لا يتحملها بدن الإنسان الضعيف، ولحمايته منها ينبغي أن يلف من جميع جهاته بطبقة عازلة واقية سمكها حوالي مترين، وإلا لأصابته تشوهات وحروق وأمراض فتاكة تسرع بوفاته عاجلاً، وهذه السترة الفضائية الفضية لا تغني شيئاً من ذلك، أفلا تعقلون!

• كذلك فقد صرح بعضهم بأن النظريتين متكافئتان [مركزية الأرض، ومركزية الشمس]، لقد صرح Otto Neugebauer بـ:"أن عدد الخطوات لحساب مواقع الكواكب هو نفسه في النظامين".

• كذلك فإن ما أتى به نيوتن من نظريات لم يكن محل ترحيب واقتناع حتى ممن هو على نفس عقيدته، فقد عارض فكرته عن الجاذبية: كريستيان هيجنز Christian Huygens (١٦٢٩-١٦٩٥)، والذي لم يكن يختلف كثيراً عن جيوردانو برونو في معتقداته، إلا أنه استقبل كتاب نيوتن باستخفاف، فقد قال في مراسلاته للايبنز –والتي نشرت لأول مرة سنة (١٨٣٤)–: "أتمنى أن أطلع على كتاب نيوتن، ولكن أتمنى أن لا يقدم لنا فرضيات مثل الجاذبية"، وبعد أن قرأ الكتاب قال: " فيما يخص سبب المد والجزر كما فسره نيوتن فإنني غير مقتنع به أبداً، ولا بكل النظريات الأخرى التي أسسها على مبدأ الجاذبية، والذي يظهر لي أنه مستحيل، ...، وكنت دائماً مستغرباً كيف يتعب نفسه! ويقوم بكل هذه الحسابات الصعبة! والتي لا أساس لها إلا هذا المبدأ الواهي!"، يقول هيجنز هذا مع كونه كان عالماً بارعاً في الرياضيات والفلك والبصريات، وكان يتفق مع هوك في كثير من رؤاه العلمية، وعارض فكرة الجاذبية أيضاً: لايبنز، واعتبرها نوعاً من الشعوذة، حتى قال: "والتي أجهل على أي مبدأ اعتمد" [انظر: "مؤسسي علم الفلك الحديث" ص (٣١١-٣١٣)].

• فلا بد لنا من بيان الزيف الكبير الذي يلف هذه النظرية، ودعوى كونها قائمة على المشاهدات الحسية، والتجارب العملية، وإن القول بأن الحتمية المعرفية هي التي قادت هؤلاء إلى الصدح بهذه النظرية قول لا نصيب له من الصحة، فلقد ارتبطت نشأة علم الفلك ارتباطاً وثيقاً بعبادة الأوثان، لاسيما عبادة الشمس والقمر والنجوم والكواكب [راجع كتابي: لماذا حركوا الأرض ؟].

• وأين الأمانة العلمية التي يدعيها هؤلاء؛ حين حكموا على كل من لم يوافقهم في المذهب بإماتة ذكره، وإدراجه في طي الكتمان، حتى يخيل إلى الناس أن لا ثمة شيء يخالف مذهبهم، يقول فرديناند هوفر في كتابه "تاريخ علم الفلك" ص(٣١٣): "فلكيو القرن السادس عشر الذين رفضوا فكرة كوبرنيك كانوا كثرةً، وبدلاً من ذكرهم لابد أن نحكم عليهم بالنسيان، وهذا لن يكون إلا العدل".

• لقد اعترف هؤلاء بأن الكتب السماوية كانت تحض المؤمنين ألا يشاركوا الأمم الوثنية في علومهم الشركية مثل السحر والتنجيم وادعاء علم الغيب وما ارتبط بها من علم الفلك والهيئة، يقول فرديناند هوفر في كتابه "تاريخ علم الفلك" ناقلاً نصاً من التوراة ص (٨٣) : «اسمعوا ماذا يقول لكم الرب، أبناء إسرائيل، لا تكونوا أتباعاً لأخطاء الأمم، لاتخافوا أبداً من علامات السماء (النجوم) مثل باقي الأمم»، ثم يتابع منكراً قائلاً: "إن العلم هو العمل المشترك للجنس البشري، بدون تمييز لجنس، ولكن شعب مثل شعب بني إسرائيل، يحرِّم كل تبادل فكري وكل تبادل للأنوار [قلت: يدعون بأن وثنياتهم وشركهم نور] مع باقي الأمم الغير موحدة [يعني: التي تقول بتعدد الآلهة وتعترف بالوثنية] لابد أن يبقى بمحض إرادته خارج الحركة العامة للعلم" .

(HISTOIRE DE L' ASTRONOMIE par FERDINAND HOEFER - PARIS 1873)

ولذلك فإنهم يعتبرون أن إحدى الكوارث على تاريخ العلم والحضارة، لا سيما علم الفلك، هي اعتناق الامبراطورية الرومانية للنصرانية، والذي أدى بدوره إلى انحسار النشاط العلمي والحضاري بشكل كبير، ويقولون بأن تطور علم الفلك كان قد توقف عملياً من القرن الثاني الميلادي إلى القرن السابع، ولم تعترف الكنيسة الأوروبية بشيء من التراث الإغريقي القديم إلا بعد قرون، ولم تسمح لشيء منه بالتدريس في الكنائس والمعاهد العلمية إلا ما كان قريباً ولو نوعاً ما من أصول ديانتها، مثل تعاليم أفلاطون المثالية، أو آراء أرسطو، وأما تعاليم الذريين المادية الإلحادية فقد تعرضت لملاحقات ضارية، فبعد اعتناق النصرانية اختفى كثير من مؤلفات ديموقريط وإبيقور وأمثالهم.

• لقد اعترفوا –وبكل وقاحة– بأن عقائد الكنيسة كانت تستند بشكل واضح على نظام مركزية الأرض في النظرة إلى الكون، فقالوا مثلاً: إن عقيدة اصطفاء الله تعالى للجنس البشري على الأرض، مع جملة من العقائد التي أكدت عليها التوراة: سوف تفقد كل مغزى إذا ما أقرت بدوران الأرض، أو بأنها مجرد كوكب ضئيل لا يسوي شيئاً في هذا الفضاء الهائل.

[أسرار الفيزياء الفلكية والميثولوجيا القديمة. تأليف: س.بريوشينكين. ص (٢٦٧-٢٧٠)]

• **وهنا سؤال يطرح نفسه بقوة: هل القائلون بدوران الأرض حول الشمس، قالوا بذلك بناء على حتمية معرفية وبراهين قطعية، أم كان مجرد محادة لما جاء به الأنبياء ؟!**

فلقد أقام فيلولاوس الفيثاغوري (عاش زمن سقراط في القرن الخامس قبل الميلاد) برهانه على هذه النظرية، والذي

ينبئ عن حقيقة عبادتهم للشيطان، في صورة الشمس أو النار، والذي ينقله لنا أرسطو، حيث ينقل عنه فرديناند هوفر في كتابه "تاريخ علم الفلك" ص(١١٠) يقول أرسطو نقلاً عن فيلولاوس: "إن مكان الشرف لابد أن يحتله الأكثر رفعة، ولكون النار أكثر رفعة من الأرض؛ فإن الأرض تدور حول النار في حركة دائرية"، وهو في ذلك يتبع إمامه إبليس في القياس الفاسد حين أُمر بالسجود لآدم فقال : ﴿**أَنَاْ خَيْـرٌ مِّنْـهُ خَلَقْتَنِي مِـن نَّارٍ وَخَلَقْتَـهُ مِـن طِـينٍ**﴾ [الأعراف(١٢)].

وهذا هو نفس البرهان الذي احتج به بيير بورل (١٦٢٠-١٦٧١م) على تعدد العوالم إذ يقول في كتابه "منطق جديد يثبت تعدد العوالم" ص (١٢) : "إن الذين يتخيلون أن العدد اللانهائي من الأجرام السماوية قد خلق من أجل كوكب الأرض وسكانها قد أخطؤوا خطأً جسيماً، لأن المنطق الطبيعي يجعلنا لا نقبل بأن الأشياء الكبيرة تنقاد للأشياء الصغيرة، وبأن الأكثر رفعة يخدمون الأكثر ضعة".

[Discours nouveau prouvant la pluralité des mondes [Texte imprimé] : que les astres sont des terres habitées et la terre une estoile, qu'elle est hors du centre du monde dans le troisiesme ciel et se tourne devant le soleil qui est fixe, et autres choses très curieuses / par Pierre Borel . Genève : [s.n.], 1657]

ولا يفوتني التنبيه على أن أول من نصر هذه العقيدة الوثنية ممن ينتسب لملة الإسلام: **نصير الشرك والكفر الملحد وزير الملاحدة، النصير الطوسي، وزير هولاكو**، (٥٩٧-٦٧٢هـ) (١٢٠٠-١٢٧٣م) الذي نصر في كتبه قِدَم العالم، وبطلان المعاد، وإنكار صفات الرب جل جلاله، من علمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره، وأنه لا داخل العالم ولا خارجه، وأنه ليس فوق العرش إله يعبد ألبتة، واتخذ للملاحدة مدارس، ورام جعل إشارات إمام الملحدين ابن سينا مكان القرآن، فلم يقدر على ذلك، فقال: هي قرآن الخواص، وذاك قرآن العوام، ورام تغيير الصلاة، وجعلها صلاتين، فلم يتم له الأمر، وتعلم السحر في آخر الأمر، فكان ساحراً يعبد الأصنام.

ولو كان نيكولا كوبرنيك (١٤٧٣-١٥٤٣م)، الذي نُسب إليه كتاب «حركة الأجرام السماوية»، يملك برهاناً يقينياً على دوران الأرض، فهل كان يحتاج إلى التفوه بهذه الجملة الدالة على كون المسألة عقدية أكثر منها علمية بحثية، فها هو يقول: "القمر يدور حول الأرض، والشمس تحتل مركز العالم الذي تنيره وتحكمه"، وكأنه كاهن من كهنة معبد آمون، عبدة الشمس، وكأن الكون كله يستمد حركته وحياته من هذه الشمس، ويقول أيضاً: "الشمس تتربع على العرش متوسطة كل شيء، في هذا المعبد المتفوق الرائع، أين يمكن وضع هذا النجم الساطع في مكان يمكنه من خلاله أن ينير الكل في وقت واحد؟، إنه يُدعى بحق: المصباح، السراج، العقل، **والحاكم لهذا الكون**"، وفي هذا المعنى يقول جيمس آر فويلكل في كتابه "يوهانز كبلر وعلم الفلك الجديد" ص (٢٧): "فقد كان للنظام الكوبرنيكوسي مغزى دينياً أكثر اتساعاً، فالكون كما كان يراه لم يكن سوى صورة الله الخالق، والشمس وهي الجرم الأكثر تألقاً

كانت متوضعة في المركز حيث كانت توزع النور والحرارة والحركة على الكواكب، فقد كانت تمثل الله مالك الملك، وفي أقصى حدود هذا النظام تتواجد النجوم، وهي تتواجد فوق قبة سماوية ثابتة وهو أكمل الأشكال الهندسية، ومركزها الشمس، التي أحاطت بالكون وحددت اتساعه، فهو وجه آخر من وجوه رب العالمين. ...، إن فترة دوران الكواكب وأبعادها كان لها معنى في الترتيبات الخاصة بكوبرنيكوس، فكلما كانت الكواكب أقرب إلى الشمس مصدر التغيير والحركة كلما ازدادت سرعة دورانها حولها".

ويقول ألكسندر كوير في كتابه الثورة الفلكية ص(٦٥): "قد أكون مخطئاً عندما أقول بأن هذا كل شيء بالنسبة للدور الذي يعطيه كوبرنيك للشمس؛ حين نحصر هذا الدور حرفياً بالقول بأنها تعطي النور للكون، إن هذا القول ذو أهمية قصوى بالنسبة لكوبرنيك، إن هذا الدور هو ما يمكِّن الشمس من الحصول على مكانها في الكون، وهو المكان المركزي.

الشمس توجد في مركز الكون لكي تمده بالنور، ومن ثم بالحركة والحياة، حيث إن المركز هو أنسب مكان للقيام بهذا الدور، في الواقع، في هذا المعبد المنير (الكون) ينبغي أن توضع هذه الإضاءة في أفضل مكان بحيث يمكنها من خلاله إضاءة الكل مرة واحدة؛ البعض يكون محقاً في تسميتها العقل المدبر، والحاكم للكون، هرمس سماها الرب المرئي، وسوفوكليس في إلكترا سماها التي ترى الجميع.

إذن : الشمس متربعة على عرشها (مملكتها) تضبط عائلة الأجرام السماوية المحيطة بها، **هنا نجد الباعث – الباعث الحقيقي– الذي تجلى لعقل وروح كوبرنيك، إنه لم يكن باعثاً علمياً محضاً، إنه أكثر من ذلك بكثير.**

إن التقاليد القديمة وخاصة التي تخص ميتافيزيقية الضوء، والتي كانت تدرس خلال العصور الوسطى، والتي رافقت دراسة البصريات: رسائل أفلاطون، والأفلاطنيون الجدد، وبعث الفيثاغوريين الجدد: يرون أن الشمس تمثل الشمس المخفية، الشمس هي المعلم، والملك للعالم المرئي، وبالتالي فهي رمز الإله، هذا التصور هو الذي عبر عنه تماماً مارسيليو فيسينو Marsilio Ficino في تسبيحه للشمس.

هذه الموروثات وحدها كانت قادرة على أن تفسر العاطفة التي يتحدث بها كوبرنيك عن الشمس، إنه يعشقها، وفي الغالب فهو يؤلهها".

[The Astronomical revolution : Cprenicus – Kepler - Borelli /Alexandre Koyre; trd by R. E. W. Maddison. – Herman : Paris , Methuen : London , Cornell University Press : New York]

بل ذهب بعضهم إلى أبعد من هذا، وأبى إلا أن يكشف عن حقيقة هؤلاء، مفتخراً بهم وبمآثرهم في التمهيد لبعث الوثنية بثوب جديد؛ إذ يقول فرديناند هوفر في كتابه "تاريخ علم الفلك" ص (٢١١) : "أخيراً بعد قرون من النسيان والتجاهل، الكاردينال نيكولا دي كوسا –أحد كاردينالات الكنيسة– يعيد فكرة دوران الأرض لمسرح

الأحداث، في نفس وقت اختراع المطبعة، وقريباً كوبرنيك سيقوم كما سنرى فيما سيأتي بنصر الفكرة الوثنية وبصفة نهائية"، وقد كرر هذا المعنى في أكثر من موضع من كتابه، **مؤكداً كون القول بدوران الأرض حول الشمس هو عقيدة وثنية يجب نصرتها**، انظر مثلاً نفس المصدر ص (٢٣٧و٣٠٣).

(HISTOIRE DE L' ASTRONOMIE par FERDINAND HOEFER - PARIS 1873)

- يشرح ألكسندر كوير في كتابه الثورة الفلكية ص(٥٥) مبيناً أن الجدال بين كوبرنيك والمدافعين عن الكون التقليدي كان مثيراً للفضول:

حيث إن الاعتراض الأساسي لكوبرنيك على مركزية الأرض يتلخص حول هذا الطرح: كيف يدور الكل حول الجزء؟ وهو نفس اعتراض نيوتن، حيث قال: كيف يمكن إعطاء الحركة للكون الغير متناهي في الكبر، ليدور حول حبة متناهية في الصغير؟!

وأما المدافعين عن الكون التقليدي فيرون أن كوبرنيك أتى بهذه الفكرة من خلال عكس حجة أرسطو، حيث يرى أرسطو أن الكون له نهاية وحد يحده، كما أنه ليس بشديد الاتساع، **فهو عالم متناهي قابل للقياس**، إضافة إلى الاختلاف النوعي بين الأرض والسماء، **فالأرض ثقيلة وثابتة**، بينما السماء وما فيها من سيارات فتفتقر إلى هذا الثقل.

ومن ثم فكيف يمكن إعطاء الأرض الثقيلة المتمركزة في مركز الكون حركة مدارية حول مركز الكون، بينما السيارات السماوية ليس لها هذا الثقل، فحركتها حول الأرض المركزية لا إشكال فيه.

وما كان على كوبرنيك وبكل بساطة إلا أن يرد هذه الحقيقة، بدعوى أن كل جسم سماوي له مركز ثقل يخصه، ويقول: "إنني أعتبر أن الجاذبية ليست شيئاً أكثر من كونها رغبة طبيعية استمدت من قبل مهندس الكون لتجعل كل مكونات الأجرام تتجاذب لتشكل كرات، ونحن نعتقد بأن هذه الخاصية متقاسمة من قبل الشمس والقمر وباقي النجوم ...".

[The Astronomical revolution : Cprenicus – Kepler - Borelli /Alexandre Koyre; trd by R. E. W. Maddison. – Herman : Paris , Methuen : London , Cornell University Press : New York]

لم يكن كوبرنيك فلكياً بالمعنى الحرفي أو المهني، فإنه لم يزاول مهنة الفلك، ولم يكن صاحب مشاهدات وملاحظات كما كان لخلفه كبلر، بل لم يكن مكتشفاً لعلم فلك جديد مبني على مشاهدات وملاحظات فلكية، ولكنه كما يصفه بعض أبناء جلدته: كان باعثاً للمعرفة القديمة، محيياً للمدرسة الفيثاغورية الوثنية، لذلك فإن كبلر كان

يرى بأن فيثاغورس هو الأب الروحي للأفكار الكوبرنيكية، ويقول في وصف منظومة كوبرنيك الجديدة: "أغنية جديدة، ولكن بلحن قديم، وصورة مجددة لقيثارة الفلسفة الساموسية"، وذلك لأن فيثاغورس كان من بلدة ساموس.

لقد كان لدى كوبرنيك بعض الخيارات في اختيار هيئة فلكية جديدة، لكنه آثر اختيار هيئة فيثاغورس الفلكية اعترافاً منه له بالجميل، والتزاماً منه لعقيدة فيثاغورس الوثنية السرية، والتي تعتبر حركة الأرض جزء منها.

ولقد حاول كوبرنيك أن يخفي باعثه الحقيقي لبعث هذه الفكرة الوثنية المحضة، وذلك لكي تلقى هذه الفكرة قبولاً في أوساط الأوربيين النصارى، فكساها بكساء العلم، وألبسها ثوب الرياضيات والفلك، ولكنه مع ذلك فضح نفسه في مقدمة كتابه، حيث يقول: "فيلولاوس يعتقد حركة الأرض، ...، وأرستارخوس الساموسي يعتقد نفس الاعتقاد، **ولكن هذا الاعتقاد غير معلل ببراهين**، وهذه المعتقدات ذكرت عن طريق أرسطو وهو نفسه أول من دحضها".

فأين البرهان العلمي؛ أم أنها عقائد الوثنيين الملاحدة، التي لا برهان عليها ولا دليل ؟

إن هذه الرسالة [رسالة ليسز] التي كتبها كوبرنيك في أول كتابه، ثم حُذفت بعد ذلك، لتلقي بظلالها على وثنية كوبرنيك، وعلاقته الآثمة بعقيدة الفيثاغوريين، إن قيام ليسز [***Lysis of Taras*** توفي حوالي سنة (٣٩٠) قبل الميلاد] بطرد هيبارخوس HIPPARCHUS من الأخوية الفيثاغورية بسبب قيام الأخير بنشر تعاليم فيثاغورس السرية، وإذاعتها بين العامة، ووصفه في ذلك بمن يسكب الماء النقي في مستنقع قاذورات، فهو يشوش الوحل الآسن ويفسد الماء ويلوثه، فهذه الرسالة لمن أكبر الدلائل على أن كوبرنيك كان يحمل هذه التعاليم، ولم يكن يمكنه البوح بها، لذا أحب أن يشير إلى هذا المعنى الذي لا يفهمه إلا من له اطلاع على أسرارهم، ففي مخطوطة «حركة القباب» بكل صراحة أعلن كوبرنيك إيمانه بالفيثاغورية كمذهب يعتنقه ولكنه قام بحذف الفقرة (***I, xi, finis***) من الطبعة الأولى، والسؤال الذي يطرح نفسه: ما علاقة رسالة ليسز هذه بعلم الفلك؟ ما علاقة أسرار وثنية فيثاغورس بحركة الأجرام السماوية؟.

وهذا هو نفس المسلك الذي سلكه كبلر في رسالته إلى جاليليو حيث ذكَّره بحكم معلميهم الحقيقيين أفلاطون وفيثاغورس للحيلولة دون التهور وعرض الحقيقة على العوام.

[Copernicus' Relation to Aristarchus and Pythagoras
Author(s): Thomas W. Africa Source: Isis, Vol. 52, No. 3, (Sep., 1961), pp. 403-409
Published by: The University of Chicago Press on behalf of The History]
of Science Society
J. Kepler, letter to Galileo, 13 October 1597, Gesammelte Werke,]
/XIII, 145

لقد أثبتت الدلائل والبينات وقوع كوبرنيك في جريمة الزنا وتلطخه بها، وأنه كان على علاقة وطيدة بصحبة كانت من هذا الطراز الذي لا يبالي بما يأتي من المنكرات والفواحش بشتى أنواعها، وتمرغهم في أوحال الفاحشة، والاستمتاع المحرم، مع العلم بأن الكاهن الكنسي يحرم عليه الزواج فضلاً عن الزنا، لقد كانت سيرة كوبرنيك الكاهن الكنسي تعج بالموبقات، والحقد على أتباع الرسل، ومعاداتهم، ومحبة أئمة الوثنية، وإعادة بعث عقائدهم من جديد.

وقد جاء بعد كوبرنيك من رد على تهافته، وأقام الحجج الشرعية من كتاب الله تعالى، أو من الحجج العقلية، مثل ركشيولي P. riccioli [ولد في فرار (١٥٩٨) وتوفي في بولونيا (١٦٧١)]، فتهكموا عليه، واستهزؤوا به، وكذلك شاينر p.scheiner (١٥٧٥-١٦٥٠)، وغيرهما كثير، مثل: أنطوان ديوسينج Antoine deusing (١٦١٢-١٦٦٦)، الذي حاول في كتابه أن يبرهن على أن الأرض في مركز الكون، وأن يلغي كل تعقيدات نظام بطليموس، من خلال براهينه الطويلة يستخلص أنه لا ضرورة لتحريك الأرض، ولا لجعل النجوم بهذه المسافات الشاسعة، كتابه بعنوان: Devero Systemate mundi dissertatio mathematica (Amestrdam, 1643)

• ثم حمل اللواء بعد كوبرنيك: **جيوردانو برونو** (١٥٤٨-١٦٠٠) الفيلسوف المنسي، كان كثير الشكوك والتساؤلات تجاه عقيدته الكاثوليكية، وأخرج صورة العذراء من بيته، واتهمها، وقال بأن المسيح مجرد ساحر ماهر جداً، منكراً بذلك للنبوات، فاتهم بالإلحاد والزندقة، ولما خاف من محاكم التفتيش هرب من الكنيسة.

قال في كتابه "حول الكون اللانهائي وعوالمه"، بأن هذا الكون ليس له نهاية، ويحتوي على عدد غير متناهٍ من العوالم، كلٌ بشمسه المركزية وكواكبه، وهي جميعاً مسكونة بالكائنات الذكية، وعليه: فإن الله – سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً – والطبيعة شيء واحد، لا ينفصلان ولا يتمايزان في الوجود والكينونة، ومن ثم إذن أين يجب أن تبحث عن الله؟ تجده في القوانين الثابتة للطبيعة، في ضوء الشمس، في كل شيء جميل منبثق من صدر أمنا الأرض، في الضوء المنبعث من النجوم، هكذا قال الملحد، وهذا أحد لوازم هذه النظرية الملحدة، القول بوحدة الوجود.

• ثم جاء **جوهانز كبلر** (١٥٧١-١٦٣٠م) المنجم الألماني ليضع ثلاثة قوانين ضمَّنها كتابه: "علم الفلك الجديد"، والناظر في حقيقة هذه القوانين يعلم يقيناً أنها لم تكن من بنات أفكاره، وإنما سبقه إلى أصولها أرسطو في كتبه عن السماء وغيرها، وكذلك ما ذهب إليه فيثاغورس من فكرة التناغم الموسيقي وغيرها، ومن تجاوزاته التي تنم عن وثنيته، أن قال في كتابه الجديد: "لقد سَرَقتُ سفن المصريين الذهبية لبناء مسكن لربي بعيداً عن حدود مصر".

يقول فرديناند هوفر في كتابه "تاريخ علم الفلك" ص (١٠٤) : "فيثاغورس اعتقد بأنه وجد في النوتة الموسيقية تناغم القبة السماوية، فالكواكب السبعة السيارة لابد وأنها تتناظر مع الأصوات السبعة للسلم الموسيقي، ومسافاتها، أو مجالاتها، لابد أن تعطي نفس النسب.

علماء اليوم يضحكون بدون شك من هذه المقاربة، ولكنهم ينسون أحد أكبر الفلكيين ألا وهو كبلر نفسه استهوته فكرة الفيثاغوريين مما جعله يقلبها في كل الاتجاهات لعدة سنين، قبل أن يصل إلى قوانين علم الفلك الحديث" .

(HISTOIRE DE L' ASTRONOMIE par FERDINAND HOEFER - PARIS 1873)

• وممن عاصره وساهم في دعم هذه النظرية والكفاح من أجلها: **جاليليو جاليلي** Galileo Galilei (١٥٦٤-١٦٤٢م)، الذي ولد في مدينة بيزا في مقاطعة توسكانيا بإيطاليا، كان أول ما بدأ بدراسته وإدخال تعديلات عليه من نظريات في علم الرياضيات: طرق حساب مركز جاذبية الأجسام الصلبة، ثم نظرية السقوط الحر للأجسام وسرعة تساقطها، وهاتان المسألتان تخدمان بشكل مباشر محاولة إيجاد برهان علمي لنظرية كوبرنيك، مما يدل على أن الرجل كان مدفوعاً لخدمة هذه النظرية، إذ كان يهاجم بقوة نظرية أرسطو في التساقط وهو القائل بثبات الأرض.

لم يتزوج جاليليو قط، لكنه تعرف على امرأة فينيسية تدعى مارينا جامبا، وكان عمرها (٢١) سنة، وأنجب منها ثلاثة أطفال، وهكذا أئمة الإلحاد يهزؤون بأعراف البشر، وما جبلوا عليه، ويتعمدون مخالفة سنن المرسلين.

ومن الجدير بالذكر أنه اكتشف أربعة أقمار تابعة للمشتري، وسماها Ganymede, Callisto, Io and Europa ، هكذا سميت بأسماء أساطير اليونان الوثنية مما يلقي بظلال الوثنية اليونانية على معتقدات هؤلاء، Ganymede جانيميدي كانوا يعتقدون بأنه من سقاة آلهتهم، وCallisto كاليستيو وIo آيو وEuropa أوروبا كن عشيقات لزيوس أحد آلهة اليونان الوثنية، فلو كان هؤلاء نصارى لأسموها بما يتلاءم مع معتقدات النصارى، ولكن كل إناء ينضح بما فيه، فضلاً عما تنضح به هذه الأسماء ومعانيها من معاني الفسق والفجور، وحب الخنا، وشرب الخمور.

كتب جاليليو ثلاث رسائل حول البقع الشمسية، لكنه أنكر حقيقة الشهب لكونها لا تسير في مسار دائري، ففي عام (١٦١٨) ظهر في سماء أوروبا ثلاثة مذنبات، كُتب فيها العديد من الكتب، أحدها كان لفيلسوف يسوعي، رئيس قسم الرياضيات في كلية روما اسمه هوراشيو جراسي Horatio Grassi [أو: أورازيو Orazio]، حيث قال بأن هذه المذنبات تكذب نظرية كوبرنيك، لكونها تسير في مسار غير دائري، وعندئذ انبرى جاليليو للرد عليه مستخدماً -كعادتهم- التشويش العلمي على مخالفيه، حيث ادعى زوراً وبهتاناً وبلا دليل علمي أن هذه المذنبات ما هي إلا خداع بصري نتيجة انعكاس أشعة الشمس وانكسارها من الجهة الأخرى، وقد فعل ذلك لئلا تخدش ظاهرة المذنبات في نظرية كوبرنيك المقدسة عنده، هكذا طريقتهم: اعتقد أولاً ثم أوجد الدليل على صحة اعتقادك، ثم كتب بعد ذلك كتاباً مفصلاً في هذا الموضوع سماه: المحلل The Assayer.

بدأت بعد ذلك المواجهات بين جاليليو وأعدائه تزداد حدة، حيث انتقلت من مجال الجدل العلمي حول الظواهر الطبيعية إلى الاتهام بالإلحاد ومعارضة نصوص الإنجيل، فبعث حينئذٍ جاليليو برسالة إلى الدوقة الكبيرة في توسكانيا يدافع فيها عن نفسه، مستجدياً عطفها، مثيراً لغضبها على مخالفيه، واصفاً إياهم بالتعامي عن إدراك الحقائق التي توصل إليها، والسعي في إيذائه وتدميره، ووصفه بالهرطقة لمجرد كون هذه الحقائق التي توصل إليها تنافي الإنجيل، وكأنهم يطالبونه بأن يتخلى عن عقله وأدلته التي أثبتتها التجربة المحسوسة المشاهدة، لصالح بعض نصوصٍ من الإنجيل يمكن أن يكون لها معاني غير ما فهموه منها [هكذا قال الملحد]، وذكر أن السبب في ذلك **أن الكتاب المقدس قد نص في مواضع كثيرة على ثبات الأرض وحركة الشمس**، مما دعاهم لأن يصفوا المخالف بالهرطقة، ثم قال بأن منشأ ذلك هو عدم فهمهم لتلك النصوص، وأنها تحتمل من المعاني ما لم يفهموه، لا أنه يُكذِّب الإنجيل، **واستدل لذلك القول بأن طريقة الإنجيل في خطاب العوام تتناسب مع عقولهم القاصرة، وإدراكاتهم الضعيفة، وأنه تنزل في مستوى الخطاب إلى عقول البلهاء من الناس، الذين لا يدركون الحقائق على ما هي عليه، وإلا قوبل منهم بالتكذيب والإعراض**، وأن مقصود الإنجيل من هذه الأمور الكونية التي تحدث عنها مثل الأرض والمياه والشمس وغير ذلك إنما هو خدمة الله وإنقاذ الأرواح، لا أنه أراد أن يعلِّم الناس حقيقتها وماهيتها، ويقول بأن الإنجيل وظواهر الطبيعة كلاهما من الله تعالى، أحدهما أملاه روح القدس، والأخير كالمنفذ اليقظ بدقة لأوامر الله تعالى، لكن الإنجيل كان لا بد أن يكون خطابه ملائماً لأفهام جميع البشر، فهو يتكلم أحياناً عن أشياء تبدو لهم في الظاهر مختلفة عما هي عليه في الحقيقة المطلقة، لذا عبر عنها بما يظهر للناس دون ما هي عليه [وهذا اتهام ظاهر لكتاب الله بالتدليس والتلبيس على الناس، بل بالكذب عليهم؛ بدعوى ندرة الأذكياء فيهم]، وأما الطبيعة – من الناحية الأخرى – فإنها ثابتة لا تحابي أحداً، ولا تنتهك القوانين المفروضة عليها، ولا تهتم بكون أسبابها الغامضة وطرق عملها وتسييرها مفهومةً للناس أم لا، وبناء على ذلك فلا يجب إخضاع قوانين الطبيعة [حسب زعمه بأنها قوانين تحكم السماء كما تحكم الأرض، أو أنها حقاً قوانين، لا مجرد فرضيات تحتمل الصدق والكذب] لنصوص الإنجيل التي تحتمل عدة معاني من التأويلات الباردة [فكان بذلك مسقطاً لمصداقية الكتب السماوية جملة وتفصيلاً، للدفاع عن أفكاره الإلحادية]، فإن تعبيرات الإنجيل غير مقيدة بشروط صارمة كتلك التي تحكم الطبيعة، وقال بأنه لا يعني بذلك عدم احترام نصوص الكتاب المقدس، لكن بمجرد التوصل إلى حقيقة علمية طبيعية فيجب استخدامها في شرح نصوص الكتاب المقدس، فيتطابق بذلك كتاب الله المفتوح في الطبيعة مع كتابه المقدس، [فكان بذلك فاتحاً باب التفسير الرمزي الباطني الملحد، منزِّهاً آراءه عن الخطأ، مطوِّعاً للكتاب المقدس ليخدم إلحاده]، ثم طالب بمنع من يقوم بتفسير الإنجيل بشكل لا يتلاءم مع الحقائق الكونية التي يدعي صحتها، ثم أخذ يخلط بين الحق والباطل، ويغالط في أمور لا غبار عليها، فيقرن بين علم الفلك الذي يتهوك فيه، وبين علوم نافعة للبشر كالطب والهندسة وغيرهما، فيجعلها كلها في كفة واحدة، إلى

آخر ما قال.

قلت: ونحن لا ننكر كل ما ينسب إلى فلاسفة اليونان وغيرهم وأتباعهم من الكفرة والملحدين: من العلوم الرياضية والطبيعية والطبية مما هو موافق للحقيقة؛ لكونهم كفاراً، بل نقر بصحة ما ثبت بالتجربة الصحيحة، وثبت بالبرهان القاطع، أو ما غلب على الظن صحته، ولم يخالف أصلاً شرعياً، وقد أثبت الله ﷻ لهم العلم بالدنيا وأسباب معاشهم فيها، فقال سبحانه: ﴿**يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**﴾ [الروم (٧)]، وامتن عليهم بأن يسر لهم سبل عمارة الأرض بمعرفة سننها وقوانينها، فقال سبحانه: ﴿**وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ**﴾ [هود (٦١)]، إلى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى [وانظر: المنقذ من الضلال ص(٢٣) وما بعدها، وانظر: الفيزياء ووجود الخالق، للأستاذ الدكتور جعفر شيخ إدريس. ص (١٢)].

وقد ظهر من تصرف جاليليو في هذه الرسالة أنه أراد النجاة من مصير برونو المروّع، فلا يُتهم بالإلحاد وتكذيب الإنجيل، وحاول الجمع بين الإنجيل وبين ما ادعاه من حقائق كونية [حسب رؤيته القاصرة، وتدليسه وكذبه فيما ينسبه للطبيعة، كأنه شهد خلقها يوم خلقت، واطلع على كيفية تسييرها]، فكان بذلك رائداً للقائلين بالإعجاز العلمي للتوراة والإنجيل والقرآن، المعتمد على ليّ أعناق النصوص لتوافق كلام أهل الإلحاد والزندقة.

منقول بتصرف من [Letter to the Grand Duchess Christina of Tuscany, 1615]

لم يستطع جاليليو أن يكذب نصوص الإنجيل والتوراة صراحة، وذلك لكونها تدل دلالة ظاهرة على ثبات الأرض ودوران الشمس حولها، لكنه كان محتالاً، ونسوق لذلك مثالاً واحداً من تأويلاته لنصوص الإنجيل والتوراة:

ورد في التوراة أن يوشع كان في معركة، وكان في حاجة ليوم أطول للإجهاز على أعدائه، فدعا الله تعالى أن يوقف حركة الشمس في السماء حتى يتم له النصر، وجاء في التوراة: "**تتوقف حركة الشمس، ويتوقف القمر حتى تثأر أمة من أعدائها، ...، بقيت الشمس في منتصف السماء، ولم تتحرك ليوم كامل تقريباً**"، ويبدو أن هذا من النصوص التي لم يلحقها التحريف، وقد سبق أن ذكرت حديث أبي هريرة الذي أخرجه الشيخان [البخاري (٣١٢٤و٥١٥٧)، ومسلم (١٧٤٧)] في هذا المعنى فراجعه، وقد استدل معارضو جاليليو بهذا النص من التوراة على ثبات الأرض وحركة الشمس، فما كان من جاليليو إلا أن أعمل فكره الشيطاني في تأويل هذا النص الصريح، فزعم أن الشمس تدور حول محورها مرة كل شهر [وهو أول من ابتدعها]، وبسبب دورانها حول محورها تكتسب الأرض والكواكب الحركة منها، سواء حول نفسها، أو حول الشمس، إذ الشمس هي المحرك الأساسي لما حولها، [ولا جرم في ذلك إذا كانت هي إلهه المعبود]، فإذا طلب يوشع من الشمس أن تتوقف عن الحركة، فإنه يكون قد طلب منها أن تُوقِف حركة الأرض بالتبع، وبالتالي يطول النهار، **وهكذا بدأ الإعجاز العلمي!**

وبسبب تلك المواجهات، ودفاع جاليليو عن هذه النظرية، أثار ذلك حفيظة البابا بول الخامس ضد جاليليو، فاستدعى الكاردينال بلارمين – عضو محكمة التفتيش في روما – جاليليو وحذره من الدفاع عن آراء كوبرنيك، كان ذلك عام (١٦١٦م)، لكن في عام (١٦٢٣م) أصبح الكاردينال مافيو باربريني ***Florentine Maffeo Barberini*** هو البابا أوربان الثامن ***Pope Urban VIII***، والذي كان صديقاً قديماً لجاليليو مما خفف من حدة التوتر، بل حصل منه على إذن للكتابة في المقارنة بين نظامي بطليموس وكوبرنيك، لكنه استغل هذا الإذن فكتب حواراً ينتصر فيه لكوبرنيك وأفكاره، وصاغ هذا الحوار على لسان ثلاثة أشخاص، جعل الشخص الذكي فيه هو المتحدث باسم نظام كوبرنيك المدافع عنه، وأما نظام بطليموس فكان المدافع عنه شخصية ضعيفة غبية مثيرة للسخرية، وضمن مسرحيته تلك بعض الحجج الواهية مثل ما يسمى ببرهان اختلاف المنظر النجمي، وذكر بعض الطرق التي يمكن قياس الاختلاف بها؛ مما مهد بعد ذلك للسعي لجعله حقيقة واقعة، ومشهداً سماوياً، مما يفسر لنا شدة اهتمام من جاء بعده مثل هوك، وبرادلي، وهيرشيل، وبسل، وستروف، وغيرهم ممن جهدوا أنفسهم في تحقيق أوهام سلفهم جاليليو.

ولما أمره البابا أن يضمِّن مسرحيته تلك مقولةً تقول بأن الحكمة الإلهية قد لا تدركها العقول البشرية، وأن قدرة الخالق مطلقة لا تقف عند حدود العقل البشري، جعل جاليليو هذه المقولة في آخر الحوار المسرحي، وعلى لسان الشخصية الممثلة لبطليموس، مما أثار حفيظة البابا، وفي هذا الوقت كانت حرب الثلاثين عاماً بين البروتستانت والكاثوليك قد بدأت، واتُّهم فيها البابا بإيواء الملاحدة، والدفاع عنهم، فصار البابا في خطر محدق مما جعله يقدم كبش فداء؛ ليُظهر ولاءه للعقيدة الكاثوليكية، فحينئذ اضطر لتقديم صديقه وعالمه جاليليو للمحاكمة.

وقد تمت محاكمة جاليليو بسبب طبع كتاب الحوار، السابق ذكره، والذي كتبه في خلال سبع أو ثمان سنوات، وقد اعترف أمام المحكمة أنه لما اجتمع في روما سنة (١٦١٦م) مع بعض الكاردينالات مثل بلارمين وغيره، أنهم قرروا أمامه أن هذا الرأي الذي يقول به من دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس، وأن الشمس هي المركز وليس الأرض: معارض تماماً للنصوص المقدسة، لكن يمكن التكلم به على شكل افتراضي، دون أن يعتقد صحة ذلك القول، وأن هذا القول لا يمكن اعتناقه، أو الدفاع عنه، أو تعليمه بشكل من الأشكال، لكنه نفى أن يكون قد تعهد بذلك كتابياً، وإنما شفوياً أمام الكاردينال بلارمين، فلما سئل عن سبب كتابة هذا الكتاب المذكور بعد هذا التعهد، وهل حصل على إذن في الكتابة؟ تهرب من الإجابة بأنه لا يعتقد أن كتابة هذا الكتاب يتعارض مع الإنذار السابق، بل إنه كان يفنده ويدحضه، ثم ذكر بأنه حصل على إذن بالطبع من الأب فيسكونتي ***Visconti*** في روما، لكنه لم يخبره بقرار اللجنة السابق وإنذار بلارمين له، وقد تمت هذه المحاكمة خلال أربع جلسات بداية من (١٢) أبريل (١٦٣٣) إلى (٢١) يونيو (١٦٣٣)، بعد انتهاء الجلسة الأولى والتي كان فيها جاليليو مدافعاً عن نفسه، قام المفتش ماكيلانو بزيارة شخصية للمتهم يوم (٢٧) أبريل، حاول فيها إقناعه بترك الدفاع عن نفسه، والاعتراف أمام المحكمة

بخطئه، نجح المفتش في مهمته، وأخبر رئيس المحكمة الكاردينال باربيني – ابن أخي البابا، وصديق سابق لجاليليو – بنجاحه، وبالفعل قام جاليليو في الجلسة الثانية بالاعتراف أمام المحكمة بكل انكسار وذل أنه لما عاود قراءة كتابه اكتشف أنه دافع عن نظرية كوبرنيك، ومن ثم كان إدانة لنفسه بخرق التعهد الذي أُخذ عليه، وانتهت الجلسات بتراجع جاليليو عما كان يقول به، وأنه يعتقد رأي بطليموس القائل بثبات الأرض وحركة الشمس، وحُكم عليه فقط بالإقامة الجبرية، ذلك لأن البابا أوربان الثامن قد ضمن لجاليليو محاكمة صورية، دون أن يقع تحت طائلة التهديد بالقتل أو الحرق حياً، حيث تم اختيار أعضاء المحكمة بعناية، كما تم استبعاد الأشخاص الأكثر عداءً لجاليليو، مثل الأب جراسي ***Horatio Grassi*** ، فأيُّ شهيد علمٍ هذا !!!، وقد نكص على عقبيه !!!.

منقول بتصرف من [*The Galileo Affair: A Documentary History*]

وانظر أيضاً: ***New light on the Galileo affair***

كان جاليليو يرى أن البحث العلمي النزيه يجب أن يتجرد تماماً من أي قيد أو تأثير خارجي، يعني بذلك التحرر التام من قيود الدين، أو مما يمليه عليك اعتقادك بما في الكتب السماوية، لكن لا بأس أن تأخذ بما يمليه عليك شيطانك المريد، فنقول لمن يرى ذلك من أهل الضلال:

إذا بدأت بحثك عن الحقيقة معلناً كفرك برب العالمين، واستغناءك عنه أن يهديك إلى الصواب، معتمداً في ذلك على نفسك والشيطان، واثقاً بهما، فكيف تنتظر بعد ذلك توفيقاً وهداية إلى الحقيقة، قال الله ﷻ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ لاَ يَهْدِيهِمُ اللّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ**﴾ [النحل (١٠٤و١٠٥)]، فلذلك نقول: بأن هؤلاء شرار الخلق، وهم من أجرأ الناس على الكذب والافتراء، يفترون الكذب، ثم يغلِّفونه بغلاف البحث العلمي النزيه، المتجرد من أي تعصب لأي عقيدة، فما أبشع ضلالهم وكفرهم بآيات الله!.

وتعالوا بنا نتساءل عن مدى مصداقية كبلر وجاليليو [وهما أول من سعى لإيجاد دليل علمي يعضد نظرية كوبرنيك]، فنفترض جدلاً أن الملاحظات والأرصاد الفلكية التي وقفا عليها قد حيرتهما لكونها تخالف ظاهر التوراة والإنجيل، فعندئذ يجب أن يُعمل الباحث النزيه فكره وعقله لإيجاد سبيلٍ للجمع بين هذه النصوص المنزلة من عند الله خالق هذا الكون، ومَن أصدق مِن الله قيلاً، ومَن أصدق مِن الله حديثاً، فقوله حق، وخبره صدق مطابق لما في الواقع، يجب على الباحث أن يجمع بين خبر السماء، وبين أرصاده وملاحظاته بحيث ينفي عنها التعارض الذي ظهر له، ومن أقوى الملاحظات التي ظهرت لهما: بعض الإشكالات المتعلقة بأرصاد عطارد والزهرة والمريخ، فكان من المفترض أن يبدأ الباحث بالشك في أرصاده، أو في طريقة تحليلها، فيعيد النظر فيها لتطابق الكتاب المنزل من عند الله تعالى، لكن الذي حدث منهما أنهما لم يحاولا تطويع ملاحظاتهما للنصوص، ولكن على العكس من ذلك فقد قاما بإهمال ما دلت عليه هذه النصوص، واعتماد ما ظهر لهما من تحليل هذه الأرصاد، مما يحتمل الخطأ والصواب في

التحليل والتفسير، والأدهى من ذلك محاولة لي أعناق النصوص لتوافق أفكارهما المبنية مسبقاً على تصديق نظرية كوبرنيك، فإن قال قائل: لم يكن أمامهما إلا هذا الطريق، فيقال: قد كان المخرج موجوداً في التأليف بين أرصادهما، وبين نصوص التوراة والإنجيل، لكنه عمى القلوب!، كان الحل ماثلاً أمام أعينهما، لكنهما تعاميا عنه عن عمد، ذلك أن أشهر فلكي في عصرهما قد قال بهيئة فلكية وسط بين بطليموس وكوبرنيك، ولا تُعارض صراحة نصوص الكتاب المنزل، قال تيكو براهي بثبات الأرض، ودوران الشمس حولها، لكن الكواكب تدور حول الشمس، وهذا يحل لهما الإشكال المتعلق بهذه الكواكب السيارة الثلاثة، وفي نفس الوقت لا يعرضهما للاتهام بالإحاد، وخطر مواجهة محاكم التفتيش، فلماذا إذن؟!!!.

السؤال المحير هو: لماذا خالف هؤلاء عقيدة بني جلدتهم؟ ونصوص الإنجيل والتوراة التي تدل دلالة واضحة على ثبات الأرض ودوران الشمس حولها؟ ولم يكن تحت أيديهم من البراهين القاطعة أو الأدلة العقلية الناصعة التي يمكن أن تُؤَوّل لها تلك النصوص؟

هذا من جهة، ومن جهة أخرى: قد وُجِد من علماء دينهم من يقيم عليهم الحجة الرسالية – مما بين أيديهم من نصوص الإنجيل والتوراة – على ثبات الأرض ودوران الشمس حولها، مع أن أيديهم كانت خالية الوفاض من أي دليل مادي محسوس يصدق مقولتهم، ومن الشواهد على ذلك ما كتبه الكاردينال Bellarmine بلارمين إلى الأب باولو أنطونيو فوسكاريني Paolo Antonio Foscarini، محاولاً ثني عزمه عن القول بهذه النظرية، ومبيناً له بأدب وتوقير زائد خطورة هذا القول، ومدى إضراره بإيمانه بنصوص الكتاب المقدس، وما اتفق عليه باباوات الكنيسة الكاثوليكية في تفسير هذه النصوص، بالإضافة إلى معارضة أقوال علماء زمانهم بعلوم الطبيعة، ومعارضة أقوال سليمان عليه السلام في نسبة الشروق والغروب والحركة إلى الشمس، مع أن سليمان عليه السلام كان ممكَّناً في الأرض، وكان يوحى إليه من عند الله سبحانه وتعالى، وأوتي من العلم ما يمكنه من معرفة الحقيقة على ما هي عليه، فقد كان أعلى مقاماً ومنزلة من جميع هؤلاء التي يتكلمون في العلوم الإنسانية والكونية، ولهذا فليس من المحتمل أنه كان يتكلم بشيء يناقض الحقائق الكونية.

[مأخوذ بتصرف من Cardinal Bellarmine's Letter to Foscarini (April 12,1615)].

راجع كتابي: لماذا حركوا الأرض، ففيه تفاصيل مثيرة للغاية عن حقيقة جاليليو واكتشافاته.

قد يظن البعض أن هؤلاء قد نذروا أنفسهم لإسعاد البشرية، حيث تفانوا في السعي نحو ما يجلب لهم السعادة، ويبعدهم عن أسباب الشقاء والتعاسة، فلم يلتفتوا إلى أنفسهم وإشباع رغباتها، بل زهدوا في كل متع الدنيا، وودعوا الراحة والدعة؛ لأجل إسعاد البشر، وإنقاذهم من أسباب التلف والهلاك، قد امتلأت قلوبهم بالرحمة والشفقة على

الخلق، لم تستطع أعينهم أن ترى طفلاً مشرداً، بسبب فتك الفقر والجوع والأمراض بأبويه، أو أن يروا المرضى تعتصرهم الآلام، لو كان هذا حقاً، فهل أجد إجابة على هذا السؤال:

لماذا تخلى جاليليو عن ابنه الذكر الوحيد لكي يذهب إلى غير رجعة مع أمه المومس، فلا تراه عينه بعدها أبداً؟! لماذا رضيت نفسه أن يلقي بابنتيه في أحد الأديرة، ولم يكن ليشغل باله بعد ذلك في تفقد أحوالهما، بل لما استغاثت به إحداهما لكي يبعث إليها بما يقيها من البرد لم تجد منه أذناً صاغية؟!

كذلك مما يؤكد أن جاليليو كان مدفوعاً لإثبات هذه النظرية ميكانيكياً؛ أنه لم تكن ثمة حاجة بشرية معاصرة ملحة للبحث في هذه المسائل الرياضية التي بحثها، بقدر ما كانوا بحاجة ماسة لتطوير علم الطب، أو غيره من العلوم التي تخفف من حدة الآلام التي يعاني منها البشر بسبب المرض أو الجهل أو الفقر، بغض النظر عما كان مجتمعهم بحاجة ماسة جداً إليه من تصحيح المسار العقدي، وتنقية النصرانية مما شابها من أصول الشرك والوثنية، وتقويم ما اعتراها من قصور شديد في التصور والسلوك، ونفي التثليث والبنوة عن مقام الألوهية، ومن ثم فإن هذه النظريات وما ترتب عليها أنتجت عالماً مادياً بحتاً، ملحداً لا يريد أن يعرف ربه، وأثمرت حضارة بعيدة كل البعد عن متطلبات الإنسان الروحية والبدنية، وفي هذا المعنى يقول الطبيب ألكسيس كاريل [توفي سنة (١٩٤٤)] في كتابه "الإنسان ذلك المجهول" ص (٢٨٧): "إننا لا نستطيع تحديد أنفسنا وبيئتنا قبل أن نغير عاداتنا في التفكير، لقد عانى المجتمع العصري منذ نشأ من خطأ عقلي، خطأ ما زال يتكرر باستمرار منذ عصر النهضة، لقد صاغت التكنولوجيا الإنسان لا تبعاً لروح العلم، ولكن تبعاً لآراء **ميتافيزيقية**، وها قد حان الوقت لكي نتخلى عن هذه المذاهب، ...، فإن الغلطة المسؤولة عما نعانيه، إنما جاءت من ترجمة فكرة لطيفة لجاليليو، فقد فصل جاليليو الصفات الأولية للأشياء، وهي: الأبعاد والوزن، التي يمكن قياسها بسهولة، عن صفاتها الثانوية، وهي: الشكل واللون والرائحة، التي لا يمكن قياسها، ففصل الكم عن النوع، ولقد جلب الكم المعبر عنه باللغة الحسابية العلم للإنسانية، بينما أهمل النوع، ولقد كان تجريد الأشياء من صفاتها الأولية أمراً مشروعاً، ولكن التغاضي عن الصفات الثانوية لم يكن كذلك، فالأشياء غير القابلة للقياس في الإنسان أكثر أهمية من تلك التي يمكن قياسها، ...، ولقد دفعت هذه الغلطة الحضارة إلى سلوك طريق أدى إلى فوز العلم وانحلال الإنسان". وقال في موضع آخر ص (٣٧): "فلو أن جاليليو أو نيوتن أو لافوازييه وجهوا قواهم العقلية نحو دراسة الجسم والوجدان لكان من المحتمل أن يختلف عالمنا عما هو عليه الآن". وقال أيضاً ص (٤١): "ولقد أدى تطبيق الاكتشافات العلمية إلى تغيير العوالم المادية والعقلية، وهذه التغييرات تحدث فينا تأثيراً عميقاً، وتأثيرها التعس إنما هو نتيجة لأنها عملت دون أدنى تفكير في طبيعتنا، ولقد أدى جهلنا بأنفسنا إلى تزويد علوم الميكانيكا والكيمياء بالقوة التي مكنتها من تعديل أشكال حياة أسلافنا كيفما اتفق".

ثم حمل لواء الإلحاد والهرطقة والدوران: **إسحاق نيوتن** *Isaac Newton* (١٦٤٢-١٧٢٧م)، تزوجت أمه وهو في سن الثالثة، فأدى إهماله وفقدان حنان أمه في سن مبكرة إلى نشوء حقد دفين على أمه وزوجها، حتى همَّ

بحرقهما مع البيت الذي يسكنان فيه، وهكذا تبدأ حياة العباقرة، عباقرة الفن والإلحاد، كان نيوتن يرى نفسه هو الشخص المصطفى لإعادة اكتشاف الحكمة القديمة، وتوسيع نطاق المؤمنين بها، هكذا يقول عشاقه، وأنه كان يريد من وراء الكيمياء كشف أسرار عن سلوك المادة، وأثرها في كل شيء بدءاً من الذرات، وانتهاءً بالنجوم.

كانت كتابات نيوتن في الدين أكثر بكثير مما كتبه في أي فن، مثل الرياضيات، أو الكيمياء، أو الفيزياء، أو الفلك، كتب وهو في التاسعة عشرة في كامبردج مخاطباً إلهه، بسوء أدب، ونبرة إلحادية، وسخط على القدر، وبُغض دفين، فقال: "إنني لا أتقرب إليك بسبب عواطفي تجاهك، ولا أعيش وفقاً لمعتقدي، ولا أحبك لذاتك"، كان سيء الطوية والمعتقد فيما يتعلق بحقيقة الخالق، ومدى قدرته على تسيير الكون، فجعل نفسه حكماً على خالق الكون، يطعن فيه كيف شاء، ويتنقصه كيف شاء، منطلقاً في ذلك من خلال بحثه العلمي النزيه، تعالى الله عما يقول الظالمون المجرمون علواً كبيراً، كما أنه رسَمَ في كتاباته الدينية مخططاً لهيكل سليمان عليه السلام، مما يلقي بظلاله على تعلقه بأسرار السحر، ذهب طائفة من المفكرين إلى أن اكتشاف نيوتن لقوانين الحركة الميكانيكية "المبادئ الأساسية" قد أرسى الإطار العام للإلحاد، بحيث يمكن للبشر في العصر الحديث تصورُ كونٍ ليس بحاجة لوجود رب خالق مدبر لهذا الكون.

ابتدع نيوتن ثلاثة قوانين تحكم سير الأجرام السماوية، والحق أن نيوتن اخترع هذه القانون من قِبَل نفسه؛ ليحكم بها الأجرام السماوية، لذا كان لزاماً على من صدق قوانينه التي حكم بها الكون أن يراه نبياً موحىً إليه من قِبَل خالق السماوات والأرض، أو أنه شارك خالقها وباريها في صنعها، فكان يراه بعضهم في عصره نصف إله يتحرك على الأرض، قال الله تعالى: ﴿**تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ**﴾ [المائدة (٨٠)]، وقال تعالى: ﴿**مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً**﴾ [الكهف (٥١)]. فهو يقول بناءً على هذه القوانين التي أتى بها من عند نفسه ليبرهن بها على دوران الأرض حول الشمس: بأن الأرض تجذب الشمس بنفس القوة التي تجذب بها الشمس الأرض، فما الذي يضطرك لهذا القول الذي لا سند لك به، لا من قبل المشاهدة بالعين، أو السمع بالبصر، أو الإدراك ببقية الحواس، ولا من قبل خبر السماء الذي ﴿**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [فصلت (٤٢)]، إذ هو في الحقيقة أمر غيبي لا يدرك بالحواس، فمن ذا الذي أطلعك على كون الشمس تنبعث منها قوة جاذبة قاهرة تجاه كواكبها، ويتبع ذلك رد فعل من جميع ما حولها بنفس القوة وفي عكس الاتجاه، مع أنك لو طبقت هذا الهراء على وجه الأرض لثبت بطلان قانونك، ولخرج عنه أفراد كثيرة لا ينطبق عليها، ولا أشك في أنه قد أنفق وقتاً طويلاً لكي يصل إلى هذا القانون الآخر، شأنه في ذلك شأن كبلر في قانونه الثالث، يقول نيوتن: "يؤثر أي جسم على جسم آخر بقوة جذب تتناسب طرداً مع حاصل ضرب كتلتيهما، وعكساً مع مربع

المسافة بينهما".

وبناءً على قوانين نيوتن هذه، وامتداداً لها، فلم يعُد البشر بحاجة إلى اللجوء إلى الله ﷻ، والتضرع إليه، والخوف من عقابه، والتوبة من الذنوب والمعاصي، إذا دهمهم ما هو خارج عن قدرتهم وإدراكهم، مثل الزلازل والبراكين، والبرق والرعد، ونزول المطر الغزير، والفيضانات والأعاصير والكوارث الطبيعية، والكسوف والخسوف، فإذا قحطوا ومنعوا القطر من السماء فبدلاً من عزو ذلك إلى ذنوبهم ومعاصيهم، فيرجعوا ويتوبوا، فإنهم يعزون ذلك إلى الأسباب الطبيعية لعدم نزول المطر، من عدم وجود الحرارة الكافية لتبخر مياه البحار، ثم عدم توفر الظروف الجوية الملائمة لهطوله، ونحو ذلك، معرضين عن حقيقة تصرف الله تعالى في إنزال المطر وقتما شاء، أينما شاء، وعلى من شاء، قال الله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ**﴾ [النور (٤٣)]، وقال تعالى حاكياً عن نبيه هود عليه السلام: ﴿**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ**﴾ [هود (٥٢)]، وقال تعالى حاكياً عن نوح عليه السلام: ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ۝ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً**﴾ [نوح (١٠و١١)]، فالاستغفار سبب في نزول المطر بعد القحط بإذن الله تعالى، وقد شهدت البشرية بذلك دهوراً، حتى جاء ملحدو عصرنا فاستخفوا بذلك، وفي صحيح مسلم (٢٩٨٤)، من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلاةٍ من الأرض، فَسَمِعَ صَوْتاً في سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ، فَتَنَحَّى ذلك السَّحَابُ؛ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ في حَرَّةٍ، فإذا شَرْجَةٌ من تِلْكَ الشِّرَاجِ قد اسْتَوْعَبَتْ ذلك الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ فإذا رَجُلٌ قَائِمٌ في حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فقال له: يا عَبْدَ اللهِ! ما اسْمُكَ؟ قال: فُلانٌ، لِلاسْمِ الذي سمع في السَّحَابَةِ، فقال له: يا عَبْدَ اللهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عن اسمي؟ فقال: إني سمعتُ صَوْتاً في السَّحَابِ الذي هذا مَاؤُهُ يقول: اسق حَدِيقَةَ فُلانٍ، لاسْمِكَ، فما تَصْنَعُ فيها؟ قال: أَمَّا إذْ قُلْتَ هذا؛ فَإِنِّي أَنْظُرُ إلى ما يَخْرُجُ منها، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أنا وَعِيَالِي ثُلُثاً، وَأَرُدُّ فيها ثُلُثَهُ**»، فالصدقة على المساكين سبب في نزول المطر، واختصاص أرض دون أرض بإذن الله تعالى، خلافاً لما أراده هؤلاء الملاحدة من تفسير ظاهرة المطر، كذلك فإنهم يعزون ظاهرة البرق والرعد إلى التقاء الشحنات الموجبة والسالبة في السحاب، صارفين بذلك قلوب العباد عن ربهم، فإذا أيقن الإنسان بذلك، وانصرف تصوره إليه وحده، فما الذي يدعوه إلى الخوف من رؤية البرق الخاطف، وسماع صوت الرعد المرعب، فيتذكر غضب الجبار المنتقم من المجرمين، وتتطلع نفسه لما عند الله من خير نازل بسبب المطر الذي هذا مقدمته، قال الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ۝ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ**﴾ [الرعد (١٢و١٣)]، فهم ما أتوا بتفسير هذه الظواهر من أجل إسعاد البشرية – زعموا – ولكن

من أجل صرف قلوب العباد عن التعلق بخالقها ﷻ، خوفاً من غضبه وعقابه أن يصيبهم بهذه الصواعق فتحرقهم، أو يحول هذه الأمطار إلى فيضانات مدمرة فتهلكهم، ويقال مثل هذا أيضاً في هبوب الريح، وما ثبت عن النبي في ذلك، ففي الصحيحين [البخاري (٣٢٠٦و٤٨٢٩). ومسلم (٨٩٩)] من حديث عائشة، أنها قالت: كان النبي ﷺ إذا عَصَفَتِ الرِّيحُ، قال: «**اللهم إني أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ ما فيها، وَخَيْرَ ما أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ من شَرِّهَا، وَشَرِّ ما فيها، وَشَرِّ ما أُرْسِلَتْ بِهِ**» قالت: وإذا تَخَيَّلَتِ السَّمَاءُ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، وَخَرَجَ وَدَخَلَ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فإذا مَطَرَتْ سُرِّيَ عنه، فَعَرَفْتُ ذلك في وَجْهِهِ، قالت عَائِشَةُ: فَسَأَلْتُهُ؟ فقال: «**لَعَلَّهُ يا عَائِشَةُ كما قال قَوْمُ عَادٍ: ﴿فلما رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قالوا هذا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾**». وفي رواية: أنها قالت: ما رأيت رَسُولَ اللهِ ﷺ مُسْتَجْمِعاً ضَاحِكاً حتى أَرَى منه لَهَوَاتِهِ، إنما كان يَتَبَسَّمُ، قالت: وكان إذا رَأَى غَيْماً أو رِيحاً عُرِفَ ذلك في وَجْهِهِ، فقالت: يا رَسُولَ اللهِ! أَرَى الناس إذا رَأَوْا الْغَيْمَ فَرِحُوا رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فيه الْمَطَرُ، وَأَرَاكَ إذا رَأَيْتَهُ عَرَفْتُ في وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَةَ؟ قالت: فقال: «**يا عَائِشَةُ ما يُؤَمِّنُنِي أَنْ يَكُونَ فيه عَذَابٌ، قد عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ، وقد رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ فَقَالُوا: ﴿هذا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾**». وكذلك فعله ﷺ عند رؤية الكسوف، خلافاً لما نسمعه من تصرف جهلة عصرنا من خروجهم لرؤية الكسوف، وكأنهم في نزهة، يتداعون لذلك بفرح وسرور، بسبب ركونهم إلى ما تعلموه على أيدي هؤلاء، وأما النبي ﷺ فإنه لما كسفت الشمس في حياته ﷺ فزع لذلك فزعاً شديداً حتى أخطأ فأخذ درعاً حتى أدركوه بردائه ﷺ، فصلى لأجل ذلك صلاة الكسوف، والتي تختلف في هيئتها عن صلاة الفريضة، فقام قياماً طويلاً جداً، حتى جعلوا يخرون، ثم ركع ركوعاً طويلاً، ثم رفع رأسه فأطال القيام، ثم ركع فأطال الركوع، ثم سجد، ثم فعل في الركعة الثانية ما فعل في الأولى، ثم خطب الناس، فذكر الجنة والنار، وفتنة القبر، وحذر من المعاصي الموجبة لعذاب الجبار، وأمر من رأى ذلك أن يفزع إلى الصلاة والصدقة والاستغفار والدعاء، وكان مما قال مبيناً حقيقة هذا الحدث، والحكمة منه، وتصرف العبد حياله: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لا يَكْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، ولا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُمَا من آيَاتِ اللهِ؛ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِمَا عِبَادَهُ، فإذا رَأَيْتُمْ كُسُوفاً فَاذْكُرُوا اللهَ حتى يَنْجَلِيَا**»، وفي حديث آخر: «**فَصَلُّوا حتى تَنْجَلِيَ**»، وفي ثالث: «**وَلَكِنَّ اللهَ يُرْسِلُهَا يُخَوِّفُ بها عِبَادَهُ؛ فإذا رَأَيْتُمْ منها شيئاً فَافْزَعُوا إلى ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ**» [انظر: صحيح البخاري (٢٩) وأطرافه، و(٨٦) وأطرافه، و(١٠٤١) وأطرافه، و(١٠٤٢) وأطرافه، و(١٠٤٣) وأطرافه، و(١٠٤٤) وأطرافه، و(١٠٤٩) وأطرافه، و(١٠٥٩). وصحيح مسلم (٩٠١-٩١٥)]. وعلى هذا فقس غير ذلك، مثل الزلازل، والبراكين، والأعاصير، وعامة الكوارث المهلكة، فبعد انتشار هذا الذي يسمونه علماً، لم يعد الناس يعتبرون بهذه الكوارث، فيرجعوا ويتوبوا، قال تعالى: ﴿**فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام (٤٣)]، وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ**﴾

[المؤمنون (٧٦)]، وقال تعالى: ﴿**وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً**﴾ [الإسراء (٥٩)].

استعمل نيوتن الرياضيات في تفسير كثير من الظواهر، لا سيما ظاهرة المد والجزر، واستنتج بالرياضيات كثيراً من النظريات الفلكية، ولذلك فإن نيوتن يكون بذلك قد حقق أحلام أسلافه بدءاً من فيثاغورس، حيث وجدوا ضالتهم المنشودة في علم الرياضيات، الذي يحول المستحيل إلى واقع لا يستطيع أحد أن يكذبه، كما يقول خلفه آينشتاين: ليس ثمة مستحيل، لكن فقط نحتاج إلى عبقري، لإيجاد البرهان الرياضي على صحة الكذب والدجل، وكما قال أحد طلاب جامعة كامبردج معلقاً على نيوتن وهو يسير في الشارع بعد طبع كتاب المبادئ: "هذا هو الرجل الذي يؤلف كتاباً لا يفهمه هو ولا أحد غيره".

وخلافاً لما ينشر عن نيوتن وإبهار العالم به، يقول الاقتصادي البريطاني اللورد جون ماينارد كينز John Maynard Keynes الذي فتح الصندوق الأسود لنيوتن بعد موته بزمن طويل، يقول: "هل كان نيوتن أول وأعظم علماء العصر الحديث، ...، كلا، لم يكن أول عباقرة الزمان، بل كان آخر السحرة، آخر البابليين والسومريين، وآخر طفل رائع يعمل للسحر بولاء وإخلاص"، قال ذلك بناءً على محتوى الصندوق، محبو نيوتن لما اطلعوا على محتويات الصندوق أحجموا عن نشره، لأنه يسيء إلى سمعة محبوبهم، لذا فضلوا انتقاء ما يصلح للنشر، مع تلفيق بعض الأكاذيب وتزييف بعض الحقائق لإكمال النقص، في الحقيقة كانت شخصية نيوتن غير مستقرة، كان شديد النزعة إلى الشك والارتياب، ما هو نوع الكيمياء الذي كان نيوتن يزاوله؟: لقد وُجد في مصادره كتب في الكيمياء لإلياس أشمول Elias Ashmole، أحد كهنة أخوية الصليب الوردي، وأحد كيماويي القرون الوسطى الذين يبحثون في تحويل المعادن إلى ذهب أو فضة عن طريق السحر والاستعانة بالجن، وفي سبيل العثور على حجر الفلاسفة السحري، كما تربط هذه الكيمياء بين ما يعتقدونه من التأثيرات التنجيمية للكواكب وبين سلوك المواد الكيمياوية، لقد اشتملت مخطوطاته في الكيمياء على وصفات سحرية تربط بين بعض المواد الكيميائية والكواكب والشمس والقمر، والأنثى والذكر، والإخصاب والأسود الخضراء، وأوزوريس، كان نيوتن يكتب هذه الشعوذة والسحر والتنجيم بالترافق مع تأليفه لكتاب المبادئ الأساسية وقوانينه التي تحكم الكون، فأي بحث علمي قاده إلى معرفة حقائق الكون، بقدر ما قادته شياطين الجن إلى هذا التأليف السحري المسمى: "المبادئ الأساسية".

لقد انتحل نيوتن وسرق كثيراً من أعمال الآخرين مستغلاً رئاسته للجمعية الملكية البريطانية، ونسبها إلى نفسه زوراً وبهتاناً، وجرد أصحاب الحقوق من حقوقهم، بحيل دنيئة وطرق بذيئة وقحة، ولهذا فإن سمعة نيوتن في أوروبا في ذلك الوقت لم تكن بهذا القدر الذي نسمع به الآن، وإنما هي سمعة مختلقة مبالغ فيها عن عمد، فقد كان كثيرون يكنون له الكراهية بسبب أعماله الدنيئة، وأقصى ما يقال فيه إن سمعته بين علماء أوروبا كانت بسيطة في ذلك الوقت، وأما مسألة تعظيم نيوتن فقد كانت من عمل الملحد الفينيسي الماسوني، أحد كهنة الصليب الوردي: أنطونيو

كونتي *Antonio Conti* والذي ولد في بادوا سنة (١٦٧٧)، هو الذي صنع أسطورة نيوتن في فرنسا، كذلك فقد أصيب نيوتن بلوثة عقلية، وخسف بذكائه لفترة ما وضعُف إلى الأبد، لقد فقد القدرة على فهم البراهين العويصة [راجع تفاصيلها المثيرة في كتابي: لماذا حركوا الأرض ؟].

فهل البحث العلمي هو كما قالوا، باعتماد طريقة التجريب المعتمد على التجرد التام، واطراح كل ما يمكن أن يؤثر سلباً على توجيه مجريات البحث لصالح معتقد معين، أو طائفة معينة، وذلك من خلال تجميع المعطيات، ثم صوغ الفرضيات، ثم إجراء التجارب، للوصول إلى الحقيقة المحضة؟.

كلا لم يكن للإنسان إلا أن يكون إنساناً، فهو أسير معتقداته التي نشأ عليها، وبيئته التي تربى فيها، فهو مخلوق محاط بأرض تقله، وسماء تظله، وليل ونهار يتعاقبان عليه، وظواهر سماوية وأرضية تلفت انتباهه على الدوام إلى إبداع الخالق العظيم، فكيف لحواس هذا المخلوق الضعيف، الضئيل الحجم، القليل العلم، الذي يغلب عليه الجهل والظلم: أن يحيط علماً بحقيقة جميع هذه المخلوقات –عظُمت أو صغرت– التي لا يستطيع أن يدرك كنهها، وكيفية خلقها، وطريقة تسييرها وهدايتها لما يصلحها، وعلاقة الروح بالبدن فيها، وكيف تسري الروح في البدن فتدب فيه الحياة، وكيف تنزع منه فيصبح كالجماد بلا حراك، كيف وقد عجز عن إدراك كنه ما بين يديه من المخلوقات: أنى له أن يدرك حقيقة ما يجري في السماء الدنيا، وكيف له أن يستنبط الأسباب المخفية لجريان هذه الأجرام السماوية.

إن أمثال جاليليو ونيوتن ما اعتمدوا حقيقةً على بحث علمي نزيه، بقدر ما اعتمدوا على الخيال الضال المنحرف الذي يستقي توهماته من قِبَل شياطين الإنس والجن؛ لإثبات عقيدة الإلحاد، والكفر بخالق الأرض والسماوات، حتى لا يعبد أبداً، فهؤلاء لم يكتبوا في الرياضيات والهندسة والفلك، حتى قام في خيالهم تصورٌ لكونٍ بديل عن هذا الكون الذي نعيش نحن فيه، فإن الكون الذي نعيش فيه يقودنا حتماً إلى الإيمان بالله، فأرادوا أن يصنعوا في مخيلتنا كوناً آخر يمتنع معه –أو: يضعف– الاعتقاد بوجود الله تعالى، وأنه خلق هذا الكون لأجل هذا الإنسان وابتلائه في هذه الحياة الدنيا الفانية، ثم الانتقال به بعدُ إلى دار الجزاء، ليحاسِب كلاً على ما قدم.

ولو صح عقل هؤلاء لبحثوا عن الحقيقة، ولوجدوها في الإسلام، إلا أنهم ثاروا على الدين –كل الدين – جملة وتفصيلاً.

ولو رأوا أن للكون خالقاً واحداً، متفرداً بالخلق والإيجاد، والرزق والتدبير، وتصريف أمور العباد، والنفع والضر، لبحثوا عن هذا الخالق، ولعلموا أنه لا يمكن أن يترك خلقه سدى، ولا أن يدعهم هملاً، من دون أن يرسل إليهم رسولاً، أو ينزل إليهم كتاباً، يبين لهم فيه ما من أجله خلقهم، ويعلمهم بأسباب سعادتهم، ويحذرهم من أسباب شقاوتهم؛ فلماذا لم يصل إلينا أنهم بحثوا عن ذلك، مع توفر الكتب والمراجع لديهم، سيما تراث أهل الإسلام، فلماذا اقتصروا منه فقط على التراث المادي اليوناني الجذور؛ دون القرآن والسنة وعلومهما، بل إنهم ازدادوا غياً وضلالاً، وبؤساً وشقاءً، فلم يعبدوا إلهاً واحداً، ولم يتبعوا رسوله الذي أرسله رحمة للعالمين، إذا تبين هذا دل ذلك كله على

إلحادهم المطبق، وكفرهم بآيات الله، وبجميع رسله، وكتبه، وما كان منهم من عبارات قد يحسبها البعض توحيداً وإيماناً؛ فإنما هي من باب ذر الرماد في العيون، حتى لا يشتد النكير عليهم.

فهؤلاء جميعاً لم يقفوا على دليل قطعي واحد اضطرهم إلى القول بهذه النظرية، لكن الحقيقة أن الفكرة اختمرت في عقولهم أولاً، بناءً على أوهام أو تخيلات، ناتجة عن عدم التسليم لما جاء به الرسل، أو نزلت به الكتب، ومتابعتهم لأئمتهم في الكفر والضلال، ثم ذهب من جاء بعدهم ليبحث لها عن دليل مادي.

وقد يظن البعض أن النظريات العلمية، أو الحقائق الكونية المكتشفة، إنما هي وليدة التجربة وحدها، وبدافع البحث العلمي النزيه المتجرد وحده، دون أن يكون له دوافع عقدية، تحرك الإنسان وتدفعه نحو البحث عن شيء ما، أو في مجال ما، فإنه من المعلوم أن الإنسان لا يصدر منه قول أو فعل إلا عن قصد ونية، كما قال النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**، ...»، فما الذي دفع هؤلاء للبحث عن شيء يخالف فطرهم، ويخالف البصر والحس والعقل، وما دلت عليه الكتب المنزلة من عند الله تعالى خالق البشر والكون.

إن القول بأن: البحث العلمي النزيه المتخلي عن أي فكرة سابقة، أو عقيدة قائدة، سوف يقود الإنسان نحو الحقيقة؛ إنما هي مسألة ذهنية محضة، لا وجود لها في الخارج، ولا في أرض الواقع، ذاك أن الإنسان بطبيعته أسير أفكاره، وحبيس معتقداته، فهذه المعتقدات هي التي تقوده للبحث في أمر ما، أو لنقض مسألة ما، فهي التي تحرك سواكنه، وتحرر كوامنه.

ولهذا لما كثر أنصار هذه النظرية؛ جاء من يبحث لها عن أدلة مقنعة، تخدمها وترسخها في الأذهان حتى لا يأتي بعد ذلك من يشكك فيها.

يقول جوزيف برتراند في كتابه: "مؤسسي علم الفلك الحديث" ص (١١٤): "بالرغم من أن الخيال يتعارض مع الهندسة: فتاريخ الفلك يبرهن لنا على أن بينهما علاقة متينة، فالخيال يسبق الحقيقة فيكشفها من خلال الحدس، والإحساس بالجمال، والتناغم، والنظام، ثم الهندسة تتدخل ثانياً للبرهنة على الصحيح من الخطأ؛ فتفصلهما عن بعضهما"، ويقول أيضاً في إيضاح حقيقة البحث العلمي عند هؤلاء المتنورين [هكذا سماهم وهم في الحقيقة: الظلاميون] ص(١١٤-١١٦): "يجب في المرحلة الأولى من البحث: القيام بمحاولات، وقبول التخمينات المبنية على مقارنات بعيدة، وتأسيس أنظمة، حيث الأبحاث اللاحقة تقوم بدحضها، ووضع فرضيات يتم التراجع عنها بسرعة، ولكن نقوم بتعويضها بأخرى، وبدون أي إحباط أو ملل، **ونفس الشيء بالنسبة للمنظومة الفلكية فإنه من المستحيل إيجاد مجموعة متتالية من الاستنتاجات بحيث يمكن البرهنة على كل جزء حسب طريقة أصحاب الهندسة؛** ولكن عندما يتمكن رجل عبقري بأي طريقة كانت من تخمين الأسس التي توائم بين الحقيقة البسيطة

والمظاهر المعقدة والمتغيرة، فإن العقول السليمة تتقبلها بدون أن تبحث عن الطريق الذي أوصل إليها، وبدون انتظار براهين قوية ومنيرة، والتي تتراكم من قرن إلى آخر **حتى يتم إخضاع الثائرين عن طريق تنوير الأكثر عمى**".

وحتى تدرك مدى روح العداوة التي تأصلت في قلوب هؤلاء تجاه كل ما نزل من السماء، وكيف أنهم استغلوا العلم والبحث العلمي مطية لأغراضهم الخبيثة؛ لهدم الدين ونشر الوثنية؛ تمعن في كلام س. بريوشينكين في كتابه "أسرار الفيزياء الفلكية والميثولوجيا القديمة" ص (٤٥٦): "وجاءت ولادة الكوسمولوجيا في أعمال كانط ولابلاس وسواهما من العلماء الآخرين لتوجه ضربة قاصمة إلى العقائد التوراتية، لم تتلق أقسى منها إلا على يدي كوبرنيكوس في نظريته مركزية الشمس، أما الضربة الثانية التي تلقتها العقائد التوراتية فقد جاءتها على يدي داروين في كتابه نشوء الأنواع بالاصطفاء الطبيعي الذي نشره في عام (١٨٥٩م)؛ فقد أقصى هذا البحث الخرافة التوراتية عن خلق الإله للإنسان، ثم تلقت العقائد والتصورات الدينية الضربة الثالثة بانتصار التصورات الذرية-الجزيئية إثر التقدم الذي حققته نظرية الجزيئات المولدة للحركة، وما تلا ذلك من اكتشافات في تركيب الذرة، فقد أعلن هذا كله انتصار الاتجاه المادي الذي وضع ليكيبوس وديموقريط الذي أسسه لدراسة الطبيعة ومعرفتها".

وهكذا تتابع هؤلاء وذيولهم إلى يومنا هذا في استعمال التراكم المعرفي القائم على الكذب والتحايل في ادعاء وجود براهين علمية، وهي مجرد فرضيات لم تثبت علمياً، راجع في ذلك كتابي: لماذا حركوا الأرض؛ لتقف على مدى التزوير والإفك الذي ينتحلونه لإثبات الباطل الذي يعلمون بطلانه، لمجرد نصر آلهتهم التي يعبدونها من دون الله على ما جاءت به الشرائع المنزلة.

وهؤلاء لا يرون كل دين وشرعة نزلت من عند الله تعالى إلا مجرد أضلولة وعدواً للتقدم وحاجزاً في سبيل سعي الإنسان نحو السعادة. أما الثيوصوفيا -أعني: هذه العقيدة الباطنية، والتي تعني عندهم: حكمة الآلهة- فهي باشتمالها على العلم والدين جميعاً: دين علمي وعلم ديني، يقول س. بريوشينكين في كتابه "أسرار الفيزياء الفلكية والميثولوجيا القديمة" ص (٤٣٣): "فقد أدى تقدم العلم والفلسلفة إلى تبدل جذري في العقائد والرؤى، وسقوط السيادة المطلقة للعقائد المسيحية واليهودية، هذا السقوط الذي اختصره الفيلسوف الألماني نيتشه بقوله: "مات الإله". اهـ، ويقول ص (٤٣٩): "إن أزمة نظام القيم الإنسانية التي أحدثها انهيار العقيدة الدينية، قد أرغم الحضارة على أن تدفع ببدائل ما، وقد ظهر أن الإلحاد والنفعية هما أكثر الأيديولوجيات قدرة على الحياة".

هؤلاء جميعاً لم يكن ليروج كذبهم ودجلهم على الناس حتى يُظهروا لباس التقوى والدفاع عن العقيدة والإيمان بالله تعالى؛ إذ لو أظهروا إلحادهم لما راجت سلعتهم، ولنبذتهم العامة والخاصة، فكان لا بد من أن يلبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في العقيدة الأصفهانية (١٥٣): "وقائل خامس يقول: لست أفعل هذا تقليداً، ولكني قرأت علم الفلسفة، وأدركت حقيقة النبوة، وأن حاصلها يرجع إلى المصلحة والحكمة، وأن المقصود من تعبداتها ضبط عوام الخلق، وتقييدهم عن التقاتل والتنازع والاسترسال في

الشهوات، فما أنا من العوام الجهال حتى أدخل في حجر التكليف، وإنما أنا من الحكماء أتبع الحكمة، وأنا بصير بها مستغنٍ فيها عن التقليد.

هذا منتهى إيمان من قرأ فلسفة الإلهيين منهم، ويُعلَم ذلك من كتب ابن سينا وأبي نصر الفارابي، وهؤلاء المتجملون منهم بالإسلام، وربما يُرى الواحد منهم يقرأ القرآن، ويحضر الجماعات والصلوات ويعظم الشريعة بلسانه، ولكنه مع ذلك لا يترك شرب الخمر وأنواعاً من الفسق والفجور، وإذا قيل له إن كانت النبوة غير صحيحة فلم تصلي؟ فربما يقول: رياضة الجسد، وعادة البلد، وحفظ الذرية والولد، وربما قال: الشريعة صحيحة والنبوة حق، فيقال له: فلم تشرب الخمر؟ فيقول: إنما نهي عن الخمر لأنها تورث العداوة والبغضاء، وأنا بحكمتي محترز عن ذلك، وإني أقصد به تشحيذ خاطري، حتى أن ابن سينا ذكر في وصية له كتب فيها: أنه عاهد الله تعالى على كذا وكذا، وأن يعظم الأوضاع الشرعية، ولا يقصِّر في العبادات الدينية، ولا يشرب الخمر تلهياً؛ بل تداوياً وتشفياً، وكان منتهى حالته في صفاء الإيمان والتزام العبادات: أن يستثني شرب الخمر لغرض التشفي، فهذا إيمان من يدعي الإيمان منهم".

واستمع لهذا العالم الفذ الذي سبر علوم السابقين واللاحقين، فقال في درء التعارض (٥/٦٥-٦٦) في الرد على ابن سينا -وهو أشهر من نقل كلام أرسطو-: "وهل وجد في العالم أمة أجهل وأضل وأبعد عن العقل والعلم من أمة يكون رؤوسها فلاسفة.

أو لم تكن أئمتكم اليونان كأرسطو وأمثاله: مشركين يعبدون الأوثان، ويشركون بالرحمن، ويقربون أنواع القرابين لذرية الشيطان.

أو ليس من أعظم علومهم السحر، الذي غايته أن يعبد الإنسانُ شيطاناً من الشياطين، ويصوم له ويصلي، ويقرب له القرابين، حتى ينال بذلك عرضاً من الدنيا، فساده أعظم من صلاحه، وإثمه أكبر من نفعه.

أو ليس أضل الشرك في العالم هو من بعض هؤلاء المتفلسفة.

أو ليس كل من كان أقرب إلى الشرائع ولو بدقيقة؛ كان أقرب إلى العقل ومعرفة الحقيقة، وهل رأيت فيلسوفاً أقام مصلحة قرية من القرى، فضلاً عن مدينة من المدائن، وهل يصلُح دينه ودنياه إلا بأن يكون من غمار أهل الشرائع.

ثم يقال له: أنت وأمثالك أئمة أتباعكم، وهذا قولك وقول أرسطو، وأمثالكم من أئمة الفلاسفة في واجب الوجود، وصفاته وأفعاله، مع دعواكم نهاية التوحيد، والتحقيق والعرفان، قول لا يقوله إلا من هو من أجهل الناس وأضلهم، وأشبههم بالبهائم من الحيوان.

وكون الواحد منكم حاذقاً في طبٍ أو نجومٍ أو غرسٍ أو بناءٍ، هو لقلة معرفتكم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وعبادته، وقلة نصيبكم وحظكم من هذا المطلب، الذي هو أجل المطالب، وأرفع المواهب، فاعتصم بالأدنى عن الأعلى إما عجزاً وإما تفريطاً.

ولا ريب أن أئمة اليهود والنصارى بعد أن بدلوا الكتاب، ودخلوا فيما نهوا عنه: أحذق وأعرف بالله من أئمتكم.

وعوام اليهود والنصارى الذين هم ضالون ومغضوب عليهم: أصح عقلاً وإدراكاً، وأصوب كلاماً في هذا الباب من عوام أصحابكم، وهذا مما لا يشك فيه من له عقل وإنصاف.

واعتبر ذلك بعوام النصيرية والإسماعيلية والدرزية والطرقية والعرباء، وعوام التتر المشركين الذين كان علماؤهم المشركون السحرة من البخشية والطوينية وأمثالهم، وكان خيار علمائهم رؤوس الملاحدة مثل النصير الطوسي وأمثاله، وكذلك عوام أتباع سنان رأس الملاحدة وأمثاله، فاعتبر عوام هؤلاء مع عوام اليهود والنصارى تجد عوام اليهود والنصارى أقل فساداً في الدنيا والدين من أولئك، وتجد أولئك أفسد عقلاً وديناً.

وأما متوسطوكم كالمنجمين والمعزمين وأمثالهم ففيهم من الجهل والضلال والكذب والمحال مالا يحصيه إلا ذو الجلال، وهل كان الطوسي وأمثاله ينفقون عند المشركين من التتر إلا بأكاذيب المنجمين ومكايد المحتالين المنافية للعقل والدين.

وأما أئمتكم البارعون كأرسطو وذويه فغايته أن يكون مشركاً سحاراً، وزيراً لملك مشرك سحار، كالإسكندر بن فيلبس، وأمثاله من ملوك اليونان الذين كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان، ...

وهذا الكلام وأمثاله إنما قيل للمقابلة لما في كلام هؤلاء من الاستخفاف بأتباع الأنبياء.

وأما أئمة العرب وغيرهم من أتباع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كفضلاء الصحابة مثل: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وأبي الدرداء وعبد الله بن عباس، ومن لا يحصى عدده إلا الله تعالى، فهل سمع في الأولين والآخرين بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بقوم كانوا أتم عقولاً وأكمل أذهاناً وأصح معرفةً وأحسن علماً من هؤلاء" [وانظر: درء التعارض (٤/٤٩) و(٨/٢٨٦) و(٩/٢٥٣و٢٦١و٢٧٢و٢٩٣و٣٩٨) و(١٠/٩٠). الرد على المنطقيين (١٠٦و٢٦٨و٢٨٣و٣٩٤). مجموع الفتاوى (٢/٨٣) و(٤/١٣٦) و(٥/٥٣٩) و(٦/٣٣١) و(٩/١٣٤) و(١٢/٥٩٣) و(١٧/٣٥١)].

وفي النهاية أحب التنويه بأنني قد اختصرت أصل كتابي: (لماذا حركوا الأرض ؟) ، من قرابة سبعة آلاف صفحة، وها أنا أوردت منه نبذاً، لعلها تنفع من يقرأها، وبالله التوفيق.

والحمد لله أولاً وآخراً.

كتبه/ياسر بن محمد فتحي آل عيد.

الرياض في ١٤٣٧/٦/١١

كتاب الشيخ ابن باز – رحمه الله –

الأدلة النقلية والحسية

/http://majles.alukah.net/t17587

عشرون برهان علمي

من خلال علوم الطيران والفيزياء والميكانيك والرياضيات

على ثبات الأرض

للكابتن / نادر جنيد

http://www.maghress.com/essanad/947